لغتنا العربية
سيدة اللغات

الجزء الثالث

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

العنوان: لغتنا العربية سيدة اللغات الجزء الثالث
اللغة العربية في عيون مُبصريها

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية – قسم النشر
الإشراف العام: أ.د. شوقي مصطفى الموسوي
المتابعة والتنفيذ : م.م. ضياء محمد حسن
الإدارة الفنية : م.م. علي رزاق خضير
التصميم و الاخراج الطباعي: احمد هاشم الحلو ، كرار عامر الصافي
عدد النسخ: ٢٥٠
١٤٤٧هـ – ٢٠٢٥م

لغتنا العربية سيدة اللغات. مجلد 3 / [جمع] العتبة العباسية المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية
جمعية العميد العلمية والفكرية قسم النشر-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، 1447 هـ = 2025.
مجلد ؛ 24 سم. (سلسلة نشر ؛ 11)
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
النص باللغة العربية ؛ ويتضمن مستخلصات باللغة العربية.
ISBN : 9789922262048
1. اللغة العربية--العراق--كربلاء--مؤتمرات. أ. العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. جمعية العميد العلمية والفكرية. قسم النشر. جامع. ب. العنوان.

LCC: PJ6021 .L84 2025
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر

٤١٠ / ٧
ل ٧٢٩ لغتنا العربية سيدة اللغات / مجموعة مؤلفين . -
ط١ . - كربلاء : جمعية العميد ، ٢٠٢٥.
ج٣ (١١٢ ص.) ؛ ٢٤ سم
١. اللغة العربية – دراسات .
٢٠٢٥ /٣٢٦١
المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٢٦١) لسنة ٢٠٢٥

ISBN : ٩٧٨٩٩٢٢٢٦٢٠٤٨

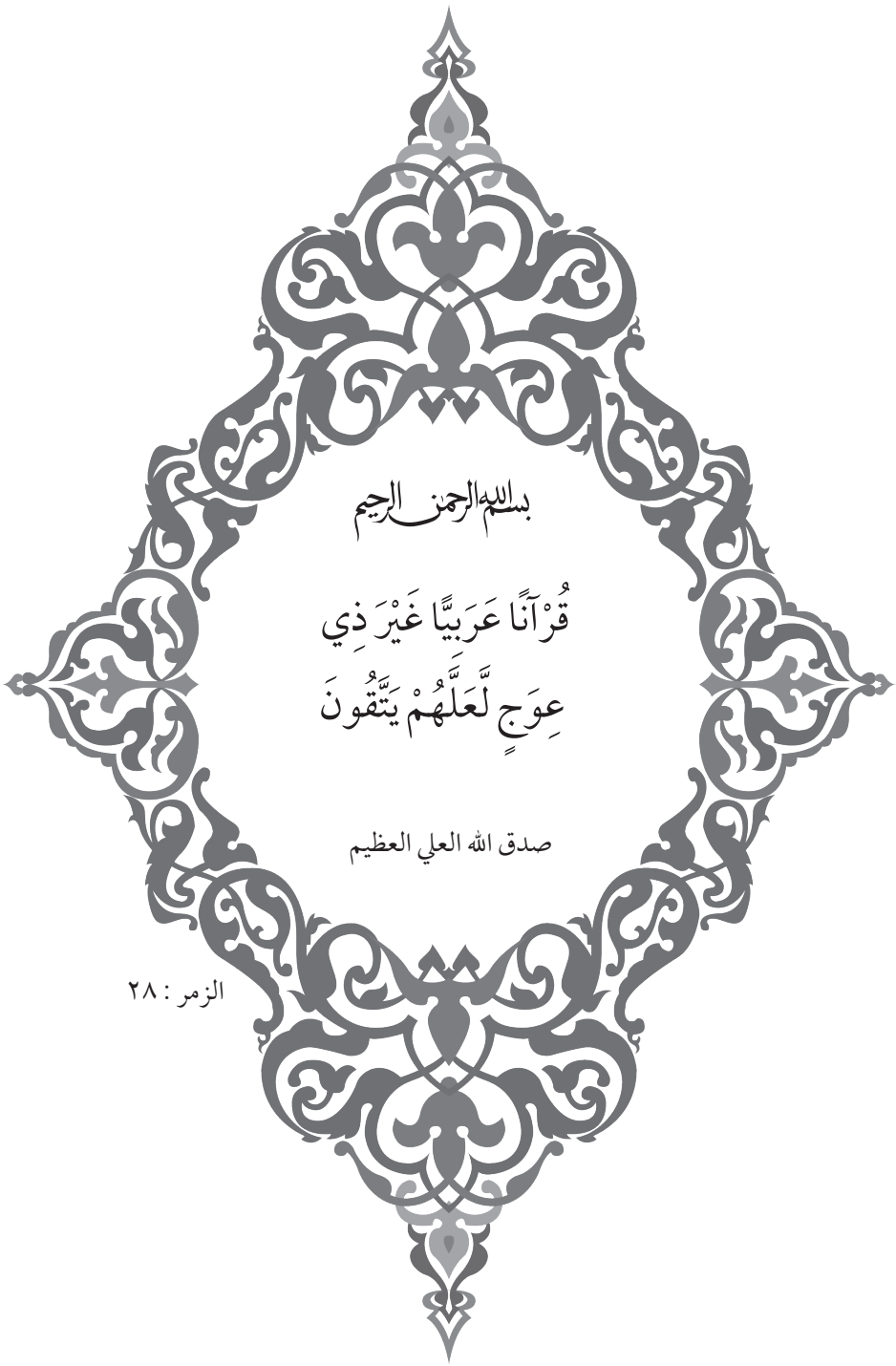

بسم الله الرحمن الرحيم

قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي
عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

صدق الله العلي العظيم

الزمر : ٢٨

كلمة الجمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ القرآنَ عَرَبيًّا مُبينًا، ورفعَ من شأن اللغة التي اختارها وحيًا وبيانًا، والصلاةُ والسلامُ على أفصحِ من نطق بالضاد، محمدٍ الصادق الأمين، وعلى آله الطاهرين ، ومن سارَ على هديهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

إنّ اللغة العربية، ومنذ أن اختارها الله تعالى لسانًا للوحي ومُفتتحًا للبيان، لم تزل وعاءً نقيًّا للهوية، ومرآةً صادقة للوجدان، ومِعْراجًا للفكر والمعرفة عبر العصور. لقد تميّزت هذه اللغة المباركة بقدرتها على الجمع بين الأصالة والمرونة، وبين التراث والتجدد، فغدت سيدة اللغات بحق، لغة الدين والحضارة، والشعر والفكر.

وإذ تحرص جمعية العميد العلمية والفكرية على إقامة هذا الاحتفاء سنويًّا ومنذ سنواتٍ عدّة، وبرعاية مباشرة من الأمانة العامة للعتبة العباسية المقدسة، فإنها تهدف من هذا النشاط العلمي والثقافي إلى مجموعة من الأهداف الكبرى، أهمها:

* بيان أثر القرآن الكريم في الحفاظ على اللغة العربيّة ومظاهر هذا الأثر المتجلّية في نصوصها وبنيتها.

* إبراز أثر الرسول الأكرم محمد ﷺ وأهل البيت عليهم السلام في حفظ اللغة العربية، وتسليط الضوء على مأثورهم المبارك الذي منحها عمقًا وثراءً لا يُضاهى.

* تعزيز مكانة اللغة العربية بوصفها وسيلةً أصيلة للتواصل الثقافي والديني، وتشجيع الارتباط العاطفي والمعرفي بها.

* نشر الوعي المجتمعي بأهمية الحفاظ على اللغة ومهمّتها الحضارية.

* تحفيز الشعراء والأدباء للتغني بمفاتنها، والكشف عن أسرارها الجمالية.

* وأخيرًا: الاحتفاء بالأساتذة الأكاديميين الذين يُعدّون سدنةً لهذه اللغة المباركة، وتكريماً لجهودهم المخلصة في إعلاء شأنها، واستئناسًا بما يقدّمونه من أوراق بحثية تنشر عبق العربية في الآفاق.

وقد تميّز هذا الإصدار بطبيعة المشاركة العلمية التي احتواها، من حيث الموضوعات المتناولة والشخصيات الأكاديمية المساهمة، إذ جاء بعنوان: "العربية في عيون مبصريها"، وضمّ نخبة من الأساتذة الكرام من ذوي البصيرة النافذة، ممّن حُرموا نعمة البصر، لكنهم امتلكوا أدوات التحليل العميق والفهم الرفيع لعلوم اللغة العربية. وقد مثّلوا أنموذجًا معرفيًّا يُحتذى في خدمة هذه اللغة المباركة، فجاءت أوراقهم البحثية انعكاسًا لما يمتلكونه من رصانة علمية، وبصيرة فكرية، وتمكّن واضح من أدوات البحث والتحقيق.

وشاركت في هذا الاصدار أربع أوراق علمية متميزة، توزّعت موضوعاتها بين قضايا لغوية عريقة وإشكالات معاصرة، تضمنت الورقة الأولى، الموسومة بـ "الرؤى اللسانية في قضية خلق القرآن"، التي أعدّها الأستاذ الدكتور حيدر سلمان جواد الأنباري، معالجة لسانية دقيقة لإحدى القضايا الكبرى في الفكر الكلامي العربي، استعرض فيها الخلفيات البلاغية واللغوية المرتبطة بالجدل حول خلق القرآن، وأثرها في فهم النصوص الدينية؛ أما الورقة الثانية، التي حملت عنوان "العمق الديني وأثره في عالمية اللغة العربية"، فقد اشترك في إعدادها الدكتور صادق حسين كنيج، والدكتورة بلسم محمد صكبان، وقد سلّطت الضوء على البعد الإيماني والروحي للغة العربية، ودوره في ترسيخ عالميتها وانتشارها الحضاري بين الشعوب ، في حين تناولت الورقة الثالثة، التي جاءت بعنوان "التعريب بين التراث والمعاصرة"، للدكتور صلاح كاظم داوود قضية المصطلح العربي، والموازنة بين الأصيل والمولّد، مع بحث في جهود التعريب بين المدارس اللغوية القديمة

والحديثة؛ واختُتمت الأوراق بـ الورقة الرابعة، الموسومة بـ "الفصاحة في لغة الإعلام: نافذة على التحجيم والتغييب"، للباحث أسعد عقيل شهاب المحنا، إذ تناولت ظاهرة تراجع الفصحى في لغة الإعلام العربي المعاصر، ودرست الأثر السلبي للخطاب الإعلامي على الذوق اللغوي العام، وما يترتب عليه من تحجيم للوظيفة التعبيرية والتأثيرية للغة.

إن هذا الجهد المبارك هو امتداد لمشروع معرفي مستمر تتبنّاه العتبة العباسية المقدسة عبر مؤسساتها العلمية، في سبيل الحفاظ على بهاء اللغة العربية، وترسيخ حضورها في ميادين البحث والتلقي والتأثير.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نثمّن جهود الأساتذة الأفاضل الذين أغنوا هذا الإصدار بأبحاثهم العلمية الجادة، وما حملته من رؤى عميقة وتحليلات رصينة أسهمت في تسليط الضوء على جوانب مهمّة من قضايا اللغة العربية. ونرجو أن يشكّل هذا الاصدار إضافة نوعية في ميدان الدراسات اللغوية والبحثية، ومصدر إلهام للباحثين والمهتمين بالشأن العربي، وأن يسهم في ترسيخ حضور لغتنا المباركة في ميادين المعرفة، ورفد الوعي بأهميتها الحضارية والإنسانية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

جمعية العميد العلمية والفكرية

الرؤى اللسانيَّةُ في قضيَّةِ خلق القرآن

أ.د. حيدر سلمان جواد الأنباري

الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم اللغة العربية

ملخص البحث

شغلتْ قضيةُ خَلقِ القرانِ مكانةً واضحةً في المتنِ المعرفيِّ الكلامي وبدأ طرحُ هذه القضيةِ من قِبلِ المأمون العباسي عندما طلب من إسحاق بن ابراهيم ان يمتحنَ القضاةَ والمحدثين في قضيةِ خلّق القرانِ وكان من نتائج ذلك ان تعرضَ الى العقابِ من لم يقل بخلق القرآن وكان من بين من عُذبوا «ابنُ حمبل» ومن هُنا بدأَ الصراعُ بين المعتزلةِ والاشاعرة في هذهِ المسألة وبدأ كل فريقٍ منهما يحشدُ الادلةَ النقلية والعقلية التي تنصرُ متبناهُ فستشهدَ كلٌ منهما بآياتٍ تنصرُ ما يذهبُ إليه اما الادلةُ العقليةُ فكانت متنوعةً وكان من بينها الادلةُ التي تحملُ طابعاً لسانياً فذكر الاشاعرةُ في هذا المقام ان كلام اللهِ قديمٌ قِدم ذاته وهو معنىً قائمٌ بذاته اما الاصوات المقطّعة والحروف المنظومة فما هي إلا اماراتٌ على ذلك الكلام النفسي وطرحُ الاشاعرة هذا يقتربُ من طرح اللساني المعروف تشومسكي الذي تحدثَ عن وجودِ بنيةٍ عميقة للكلام واخرى سطحيةٍ له ، اما المعتزلةُ فقد كان مذهبهم يتمثلُ في ان الكلام الإلهي صفةٌ من صفات الفعلِ و ليست صفةً من صفات الذات وبيّنوا في هذا المقام ان الكلامَ من حيثُ الماهيةِ والحقيقة ماهو الا الاصوات المقطعة وحروف منظومة، واقتربَ جانبٌ من طرحهم هذا مما ذهبَ اليه اللساني(فرديناند دي سوسير) الذي اكد ان الكلامَ لا يُقاس الا قياساً خطياً عبر الزمن وأما الاماميةُ فقد كانوا اقربَ الى طرح المعتزلة بل يكادُ التطابق يكون بينهما واضحاً وإن حاولوا ان ينأوا بأنفُسهم عن هذه المسألة قائلين انها ليست اصلاً من أصول الدين ولا قضيةً كبرى من قضاياه حتى تحتاج هذا الخلاف كله، لذا فقد سعى هذا البحث ان يستلَ هذه القضية من متنها العقائدي ليلبسها ثوباً

معاصراً تمثل بما تضمنتهُ هذه القضيةُ من أبعادٍ لسانيةٍ واضحة.

الكلمات المفتاحية: الرؤى، اللسانيات، خلق القرآن

المقدّمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمَين وصّلى اللهُ على محمدٍ وآلهِ الطاهرينَ وصحبهِ المنتجبينَ وبعدُ:

فلا يَختلفُ ذوا لُبٍّ في القيمةِ المعرفيةِ العليا التي خلَّفها المتكلمونَ، فهؤلاءِ مثَّلوا واحدةً من القممِ العُليا في التراثِ الفكريِّ الإسلاميِّ، ومواردُ علُوّ كعبِهم يتمثَّلُ في أَنَّهم استعانُوا بالعقلِ وجَعلُوهُ القيمةَ العُليا التي يُحتَكمُ إليها؛ وقد ظَهرَ هذا جليًّا واضحًا في الطابعِ الجدليِّ الذي حكمَ نتاجهَم، وصفحاتُ هذا البحثِ معنيّةٌ بإماطةِ اللّثامِ عن واحدٍ من جوانب نتاج المتكلمينَ، أَعني به جُهدَهم اللسّانيَّ؛ فلقد قُدِّرَ لهذا الجهد أن يظهر عندما ناقشَ المتكلمونَ قضيةَ كلامِ اللهِ ﷻ؛ وبعيداً عن الجوانبِ السلبيةِ التي اكتنفتْ هذه المسألةَ، فقد كان فيها جهدٌ فكريٌّ متقدّمٌ وليتَنا أبْقينا للمفكرين فكرَهم وأبعدْنَا السياسةَ والأهواءَ عن ميادينِ الفكرِ الرحبةِ.

حاول المتكلمون من الفرقِ الإسلاميةِ الرئيسةِ أَعني بهم الأشاعرةَ والمعتزلةَ والإماميةَ أن يُدافعوا عن فهمهم لطبيعةِ الكلامِ الإلهيِّ، واستعانوا بأدلةٍ كثيرةٍ كان في مقدمتها الأَدلّةُ اللسانيةُ، وكان علينا نحنُ الدارسينَ أَنْ نتلقَّفَ تلكَ الأدلَّةَ ونُلبسَها لباسَ العصرِ ونعرضَها على الدرسِ اللسانيّ المعاصرِ، فكان منّا ذلك، وكان من ثمارِ ذلك أَنَّنا وجدْنا أنَّ جهدَ المتكلمينَ اللسانيَّ له حضورٌ حقيقيٌّ، وقد قُدِّرَ لفهمِ الأشاعرةِ للكلامِ أن يجد لَهُ صدى في آراءِ تشومسكي اللسانيةِ، مثلما قُدِّرَ لآراءِ المعتزلةِ والإماميةَ أن تجَد لها صدىً في طروحاتٍ لسانيةٍ أُخرى.

وقد قُسِّمَ البحثُ على ثلاثة محاورَ رئيسةٍ بدأَت بآراءِ الأشاعرةِ وانتهتْ بآراءِ الإماميّةِ، وتوسطّها عرضٌ لآراءِ المعتزلةِ الذين لم يُتح لي في هذا البحثِ أن اعرضَ كلَّ آرائهم ، إذ سبقَ لي أَن عرضتُ شطراً منها في أُطروحتي للدكتوراه الموسومةِ (الدرسُ اللسانيُّ عند المعتزلةِ حتى نهايةِ القرن الخامسِ الهجريِّ).

وسبقتُ ذلك كُلَّهُ بتوطئةٍ تاريخيةٍ بيَّنتُ فيها مبعثَ هذهِ القضيةَ، أعني نقاشَ قضيةِ الكلامِ الإلهيِّ سبباً ومنطلقاً.

توطئة تاريخية:

مرَّتِ الحضارةُ العربيةُ والإسلاميةُ بأطوارٍ فكريةٍ مختلفةٍ، وكانتْ في بعضِ تلك الأطوارِ تغرفُ من منهلِ الفلسفةِ وعلمِ الكلامِ، ويبدو أَنّها بَلَغتْ الذّروةَ في ذلك في القرنِ الثالثِ الهجريِ وتحديداً في عهدِ المأمونِ العباسيّ الذي عُرفَ احتفاؤه بالعلمِ والعلماءِ، والذي زَادَ هذه المرحلةَ نضجاً فكرياً عالياً إسهامُ المعتزلةِ فيها وهم الفرقةُ العقليةُ الأبرزُ في الفكرِ الإسلاميِّ، لكنَّ الذي يُؤسفُ لَهُ أَنَّ المأمونَ ومن وراءه المعتزلةُ سقطوا فيما سَقط فيهِ أغلبُ مَنْ حكَم الأمة، وهو قَسْرُ الناسِ على ما يَعتقدُ به الحاكمُ، وكانَ ينبغي للمأمونِ والمعتزلةِ أن يُقدِّسوا العقلَ قولاً وفعلاً ويتركوا الناسَ أحراراً فيما يعتقدونَ؛ وأبرزُ مصداقٍ على الحقيقةِ المتقدمة قضيةُ (خلق القرآن).

يقولُ ابنُ قدامة (ت:٦٢٠هـ): إنَّ (من أعظمِ الأمورِ التي وَقَع فيها الخلافُ بينَ هذه الأُمةِ مسألةَ خلقِ القرآنِ وكلامَ الله تعالى) [١].

وملخّصُ هذه القضيةِ أنّ المأمونَ العباسيَّ في عام ثمانيةَ عشَرَ ومئتينِ كَتبَ (إلى إسحاقَ بن إبراهيمَ في امتحانِ القُضاةِ والمحدثينَ وأَمر بإِشْخاصِ جماعةٍ منهم إليه إلى الرّقةِ) [٢].

وكانَ مضمونُ ذلك الامتحانِ متعلقاً بقضيةِ خلقِ القرآن وكانَ المُسّوغُ في ذلك أَنَّ أغلبَ الأمةِ من العوام والحشويةِ ممَّنْ لا نَظرَ لَهُ ولا رُؤية ولا استدلالَ؛ إذ لمْ يُفرّقوا بينَ الله وبين خلْقِه من حَيثُ إنهم لم يَعْرفوا كُنْه حقيقته؛ لضعفِ آرائهمْ ونقصِ عُقولِهم وجفائهم عن التفكير[٣]؛ (ذلك أنهم ساوَوْا بين اللهَ تباركَ وتعالى وبينَ ما أَنزلَ من القرآنِ فأَطبقوا مجتمعينَ واتفقوا غيرَ متعاجِمَين على أَنَّهُ قديمٌ أَوَّلَ القدم لم يخلقْهُ اللهُ وَلَمْ يُحدْثهُ ويخترعْهُ؛ وقد قالَ الله ﷻ في محكم كتابه[٤] الذي جعلَهُ لما في الصدورِ شفاءً وللمؤمنينَ رحمةً وهدىً ﴿ **إنّا جعلناهُ قرآنًا عربياً** ﴾[٥]، فكلُّ ما جَعلَهُ الله فَقَدْ خَلَقَهُ[٦].

إنَّ الذي دعا المأمونَ والمعتزلةَ إلى التشدِّد في هذه المسالةِ اعتقادُهم أنَّ الناسَ لابدَّ أن يَسْموا بعقولهمْ غايةَ السموّ وأنْ لا يكونَ تفكيرُهُم سَطحياً في القَضايا التي يتعاملونَ معها لا سّيما في قضايا العقيدةِ وما يتعلّقُ بها لكَّن المعتزلةَ نَسْوا أنَّ اللهَ يكلِّف الناسَ على قَدْرِ عقولِهمْ، وَثَمَّةَ مغالطةٌ فكريةٌ أخرى وقعَ فيها المعتزلةُ تَمَثَّلتْ في أَنّهم عَدَّوا قضيةَ خلقِ القرآنِ جزءاً من (إقامةِ دينِ اللهِ الذي استحفظَهُمْ ومواريث النبوة التي أورَثَهُمْ)[٧].

ولا يَبعدُ عن الأذهانِ أَنَّ في هذا القولِ مبالغةً وضَرْبًا من العَنَتِ والتعسفِ، وقد أضرّتِ المحنةُ بسلامةِ الدولةِ وأمنِها واستقرارِها ، وقد أدّتْ هذه الفتنةُ إلى إراقةِ الكثيرِ من الدماءِ واضطهادِ وتعذيب الكثيرِ من العلماءِ ومنهم أحمدُ بنُ حنبلَ (ت٢٤١هـ) إمامُ المذهبِ الحنبليِّ[٨].

والذي ثبتَ على معتقدِه وهو القولُ بعدم خلقِ القرآنِ على الرغمِ من جَلْدِه وتَعذيبِه[٩].

وسارَ على سنةِ المأمونِ كلٌّ من المعتصمِ (ت٢٢٧هـ)، والواثقِ (ت٢٣٢هـ)،

حتّى جاءَ المتوكلُ (ت٢٤٧هـ) لينقلبَ على المعتزلةِ ويبدأَ الضغطَ على متكلميهِمْ، وفعلَ المتوكلُ الشيءَ نفسَهُ الذي فَعلَهُ المأمونُ فكتبَ إلى الآفاقِ بمخالفةِ القائلينَ بالاعتزالِ، وكانتْ هذه بدايةَ غروبِ شمسِ المعتزلةِ[١٠].

إنَّ كلَّ ما تقدّمَ من صراعٍ دمويٍ بينَ الفريقينِ جاءَ ليكونَ انعكاساً للمقولةِ المعروفةِ (الناسُ على دينِ ملوكِهِم) ولا شكَ أنَّ من المؤسفِ أن يفرض الحاكمُ على الناسِ أنْ يعتقدوا بما يعتقدُ حتى يجيءَ حاكمٌ آخر فيفعل العكسَ ويُجبر الناس ليعتقدوا بما يعتقدُ أيضاً، وكانتْ هذه المسألةُ ولا زالتْ واحدةً من كبرياتِ المآسي في المنظومةِ الفكريةِ العربيةِ.

لقد كانَ من ثمارِ الخوضِ في قضيةِ خلقِ القرآنِ نتاجٌ فكريٌّ حَوْلَ حقيقةِ كلامِ اللهِ وكلامِ المخلوقَين، وقَدْ أدلى كلٌّ فريقٍ بجملةٍ من الأدلةِ العقائديةِ واللسانيةِ سنُكرّس صفحاتِ البحثِ القادمَةِ لبيانِها.

أولا: الأشاعرة

قدَّمَ الأشاعرةُ جملةً من الأدلةِ التي حاولوا من خلالِها أَنْ يُثبتوا أنَّ كلامَ اللهِ قديمٌ وسنعرضُ أهمَّ تلك الأدلةِ لاسيما ما كانَ متعلقاً منها بالبُعد اللسانيّ.

ذهبت الأشاعرةُ إلى أنَّ كلامَ اللهِ قديمٌ قدمَ ذاتِهِ وبناءً على دَعْواهُمْ هذه جعلوا الكلامَ صفةً من صفاتِ الذاتِ لا صفةً من صفاتِ الأفعالِ كما ذهبَ الإماميةُ والمعتزلةُ، وبما أنَّ الكلامَ عندَ الأشاعرةِ صفةٌ من صفاتِ الذاتِ فقد كانَ من لوازمِ ذلكَ أنَّهم قالوا: إنَّ الكلامَ معنىً قائمٌ بذاتِ اللهِ ﷻ وهو قديمٌ قدِمَةَ[١١].

ومعلومٌ أنَّ القرآنَ الكريمَ هو أكبرُ مَصاديقِ ذلك الكلامِ، ولما كان كذلك، فقد ذهبَ الأشاعرةُ إلى أن القرآنَ الكريمَ وهو كلام الله غيرُ مخلوقٍ، وهذا

يعني أنّ القرآنَ سواءً أكان محفوظاً في الصدور، أم متلُوًّا بالألسنِ، أم مكتوباً في المصاحفِ، فهو كلامُ اللهِ وهو قديمٌ غيرُ مخلوقٍ (١٢).

وحَشَد الأَشاعرةُ جملةَ أدلةٍ على دَعواهم تلكَ، كانَ من بينِها القرآنُ الكريمُ، فسخَّروا بعضَ آياتهِ لينصروا دَعواهُمْ المتقدّمةَ ومن الآياتِ الكريمةِ التي استعانوا بها في هذا البابِ قولُهُ تعالى: ﴿قلْ لو كانَ البَحرُ مِداداً لِكلماتِ ربِّي لَنَفِدَ البَحرُ قبلَ أَنْ تَنفدَ كَلماتُ ربِّي﴾(١٣).

قال الأشعريُّ (ت ٣٢٤هـ) في الإبانة: (فلو كانَت البحارُ مداداً للكتبةِ لنفذَت البحارُ وتكسَّرت الأقلامُ ولم يلحق الفناءُ كلماتِ ربي، كما لا يلحق الفناءُ عِلْمَ اللهِ تعالى، ومن فَنِي كلامُهُ لحقتْهُ الآفاتُ وجرى عليه السكوتُ، فلّما لم يَجُزْ ذلك على ربّنا سبحانَهُ صحَّ أَنَّهُ لمْ يَزلْ متكلِّماً؛ لأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُتكلِّماً وَجَبَ السكوتُ والآفاتُ، تعالى ربُّنا عن قولِ الجهميةِ عُلوّاً كبيراً) (١٤).))

وَاضحٌ من النصِّ المتقدم أَنَّ الأشعريَّ يؤكدُ أنَّ كلامَ اللهِ قديمٌ فهو يقولُ: إنَّهُ (لَم يزلْ متكلماً)، وهوَ يؤكِّدُ في الوَقتِ نفسهِ أَنَّ كلامَ اللهِ صفةٌ من صفاتِ ذاتهِ فقد قَرنهُ بعلمهِ، ومعلومٌ أَنّ صفةَ العلمِ صفةٌ من صفاتِ الذاتِ الإلهيةِ، وممّا استعان بهِ الأشاعرة من آيِ القرآنِ الكريم ليَنصُرُوا دَعواهم، قوله تعالى: ﴿إنَّما قولُنا لِشيءٍ إذا أَرَدناهُ أَنْ نَقولَ لهُ كُنْ فَيكون﴾(١٥).

قال الباقلانيُّ (ت٤٠٣هـ): إنَّ الآيةَ الكريمةَ المتقدّمةَ تُؤكدُ أن كلام الله قديمٌ (فلو كانَ القرآنُ مخلوقاً لكان مخلوقاً بقول آخرَ وذلكَ يوجبُ أَنْ لا يوجدَ منَ اللهِ تعالى فعلٌ أصلاً إذ كانَ لا بُدَّ أَنْ يُوجدَ قَبلهُ أفعالٌ هي أقاويلُ لا غايةَ لها وذلَك مُحالٌ باتّفاقٍ مِنَّا ومِنهم)(١٦).

ويريدُ الباقلانيُّ بقولهِ (باتفاق منّا ومنهم) أنّ هذا الأمرَ متفقٌ عَليهِ بين الأشاعرةِ الذين يمثّلهُم هو والمعتزلةِ الذين عَبّرَ عنهم بقوله (منهم)، وزعَمَ بعضُ الأشاعرةِ في هذا البابِ أنَّ كلامَ اللهِ قديمٌ وهو قائمٌ بذاتهِ وأنَّ له ماهيةً خاصةً بهِ فهو لا يُشبهُ كلامَ المخلوقينَ فماهيةُ كلامهِ ثابتةٌ وإنْ لَمْ يُتعرَّفُ عليها، فهي مثلُ ذاتهِ في هذا الباب، وزعمتْ فرقةٌ أخرى أنَّ كلامَ اللهِ له أجناسٌ وضروبٌ فهو (نَهيٌ وأمرٌ وخبرٌ ووعدٌ ووعيدٌ و قصص و أَمثالٌ وقصصٌ واللهُ تعالى لَمْ يزل آمراً ناهياً مخبراً واعداً موعداً حامداً ذاماً؛ إذا خلقتم وَبَلغتْ عقولُكم فافعلوا كذا وانتم مذمومونَ على معاصَيكُمْ مثابونَ على طاعتكِمْ اذا خلقتم كما أنّا مأمورونَ مخاطَبُونَ بما نَزلَ من القران على النبي وَلم نُخلقْ بعدُ ولم نَكُنْ موجوديـنَ)[١٧].

والأشاعرةُ وإنْ كانوا قَد اختلفوا في حقيقةِ كلام الله لكنَّ جمهورَهم أَجمعَ على أَنَّهُ ليسَ بحروفٍ ولا صوتٍ ولا هجاءٍ ولا تعدو أن تَكونَ تَلكَ الحروفُ والأصواتُ إلا دلالاتٍ على الكلام الإلٰهي ؛ فهي أَماراتٌ عليه وليست الكلامَ نفسَهُ، وإنَما لم يَحْتج الباري إلى هذه الأصواتِ وتلكَ الحروفِ لأنَّها تصدرُ عمن كانَتْ له آلةٌ، والله منزهٌ عن ذلكَ[١٨].

وَسوَّغَ البخاري (ت٣٨٠هـ) كونَ كلام اللهِ ليستْ لَهُ ماهيةٌ كماهيّةِ المخلوقينَ بقولهِ: إنَّ اللهَ قديمٌ بذاتهِ وهو غَيْرُ مشبه للخلقِ في ذلكَ فكذلكَ صفاتُهُ فهي لا تُشبهُ صفاتِ المخلوقينَ فلا يكونُ كلامُهُ حروفاً وصوتاً ككلام المخلوقَين[١٩].

والذي دعا البخاري إلى مقالتهِ هذهِ هو أنَّ الأشاعرةَ يذهبونُ إلى أَنَّ الكلامَ صفةٌ من صفاتِ ذات الله ﷻ وهي الصفاتُ التي لا تَنْفكُّ عنه كالعلمِ والحياةِ

والقدم والقدرة، فهذه الصفات ملازمةٌ للذاتِ الإلهية، ويواصلُ البخاري استدلالَهُ على أن كلامَ اللهِ قديمٌ قِدَم ذاتِهِ فيقول: (لأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ موصوفاً بِهِ فيما لَمْ يزلْ لكانَ كلامُهُ كلامَ المحدثينَ ولكانَ في الأزلِ موصوفاً بضدّه من سُكوت أو آفةٍ ولما ثَبتَ أنّه غيرُ متغيّر وأنَّ ذاتَهُ ليستْ بمحل للحوادثِ وَجَبَ أنْ لا يكونَ ساكتاً ثمَّ صارَ متكلماً) (٢٠).

إنَّ دعوى الأشاعرةِ الذاهبةَ إلى أن الله ﷻ لو لَمْ يكنْ متكلماً مُنذُ الأزلِ لكانَ ساكتاً ثم صارَ متكلماً مَردُّها إيمانُهم أنَّ كلامَ اللهِ صفةٌ من صفاتِ ذاتِهِ وصِفاتُ الذاتِ ملازمةٌ للباري ﷻ لا تنفكُّ عَنْه كما قُلنا، فَلا يجوزُ أَنْ يتَّصفَ بها وبعدمِها.

ومن أدلّتِهم الأخرى في هذا البابِ قولُهم: إنّنا لو قُلنا إن كلامَ اللهِ مخلوقٌ لاستدعى منَا ذلكَ أن نقولَ أَنَّهُ عَرضٌ مَفعولٌ، وهذا يَعني أَنّ الباري فاعلٌ له في نفسهِ أو في غيرِهِ أو لا مكان، واللهُ لا يمكنُ أنْ يفعلَ الكلامَ في نفسهِ لأَنَّهُ ليسَ محلاً للحوادثِ؛ أي محلاً للأَعراضِ وهي لا يمكنُ أَن تحلَّ فيهِ ﷻ (٢١).

ويستعينُ الأشاعرةُ بدليلٍ آخرَ ينصرونُ بهِ مذهبَهم هو قولُهم لو كانَ كلامُ اللهِ مخلوقًا لكانَ عَرضاً ولو كانَ عرضاً لكان فانياً فالأعراضُ تَفنى ولا تَبقى كما أَنَّ الأصواتَ المقطَّعةَ لا تَمْتلكُ إمكانيةَ الثباتِ في الزمنِ فهي تفنى بمجردِ النطق بها وبناءً على كلِّ ذلك فإنَّنا لو قُلنا إنَّ كلامَ الله عَرضٌ لقلنا إنَّ اللهُ ليسَ آمراً بشيءٍ ولا ناهياً عنه فَكلامُهُ قَدْ فني في لحظةِ نزولِ القرآنِ، والأُمّةُ مجمعةٌ (على أنَّ الله تبارك وتعالى آمرٌ لخلقهِ في هذا الوقتِ بطاعتهِ وناهٍ لهم عن معصيتهِ وأَنَّهُ متكلِّمٌ بالأمر والنهي لخلقهِ دليلٌ على أنّه لا يجوز أنْ يكونَ متكلماً بكلامٍ عَرضٍ مخلوقٍ؛ لأَن الدلالةَ قد دَلّتْ على استحالةِ بقاءِ الأعراضِ) (٢٢).

إنَّ حديثَ الأشاعرةِ عَنْ كونِ الكلامِ عَرَضاً لا يبقى، معناهُ أنَّهُ يكتسبُ كينونَتَهُ من خلالِ النطقِ بهِ، فبمجردِ انتهاءِ النطقِ ينتفي وجودُ الكلامِ وقدْ عبَّرَ الدرسُ اللسانيُّ المعاصرُ عن هذهِ الفكرةِ على لسانِ رائدهِ (سوسير) الذي يقول: (إنَّ الكلامَ يجري في الزمنِ وَحْدَهُ ومِنْ ثَمَّ لَه خصائصُ الزمن : أ. في أنّهُ يمثل امتداداً، ب. في إنَّهُ يمكُن أنْ نقيس هذا الامتدادَ من بُعدٍ واحدٍ هو الخطُّ) [٢٣].

ويتابعُ سوسيرُ شرحَهُ لهذه الظاهرةِ قائلاً: إنَّ الدوالَ السمعيةَ لا تمتلكُ ما تتصرفُ بهِ سوى خطِّ الزمنِ [٢٤].

وَقْد نَجَمَ عن القولِ بالصفةِ الخطيّةِ حقيقةٌ مفادُها أَنَّ الأصواتَ لا تنطلقُ دُفعةً واحدةً فلا بد أن يفنى الزاي مثلاً في زيد حتى يمتلكَ الياءُ وجودَهُ في زمنِ النطقِ، ولكي يحصلَ وجودُ الدال لابُدَّ أنْ يفنى الياءُ [٢٥] ولا بدَّ من الإشارةِ هنا إلى أن هذه الفكرةَ تَسالَمَ عليها المعتزلةُ مع الأشاعرةِ؛ فالقاضي عبدُ الجبار المعتزلي يقول: (الكلامُ عَرضٌ مدرك لا يبقى)[٢٦]، (وهذه الخصوصيةُ النوعيةُ مردُّها أن الكلامَ بقدرِ ما يتحتَّمُ اندراجُهُ في الزمنِ فإنَّه يتعذرُ عليه الثباتُ في الزمن، وهذا بديهيٌّ وبموجبهِ أَنّ بعضَهُ لا يوجدُ إلا بفناء بعضهِ الآخرَ، فلا غرابةَ أنَّ الكلامَ يستحيلُ أَنْ يوجدَ فعلياً من حيثُ هو كلٌّ متكاملٌ) [٢٧].

وبعد فراغِنا من بيانِ بعضِ أدلّةِ الأشاعرةِ التي حاولوا من خلالِها أَنْ يثبتوا أنَّ اللهَ متكلّم سنعرضُ للماهيّة التي اعتقدوها في كلام اللهِ؛ فقد ذكرَ الأشاعرةُ أن كلامَ المخلوقَين لا يخرجُ عن أَنْ يكونَ إمّا كلاماً بالصوتِ والحرفِ أو كلامَ النفسِ الذي ليسَ بصوتٍ ولا حرفٍ، والأشاعرةُ وإنْ كانوا يقرّون بِأَن النَوعَ الأولَ مُحالٌ

على اللهِ فَهُم يعترفونَ باستحالةِ قِيام الأصواتِ بذاتِه، وباستحالةِ كونِه متكلّماً بهذا الاعتبارِ؛ فهو بهذا الاعتبارِ سيكونُ محلاً للحوادثِ [٢٨]؛ لأنهم تمسّكوا بأنَّ النوعَ الثانيَ من الكلامِ هو الكلامُ الذي يتّصفُ به الباري ﷻ يقولُ الإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ): (ونحنُ لا نُثبتُ في حقّ اللهِ تعالى إلاَّ كلامَ النفسِ، وكلامُ النفسِ لا سبيلَ إلى إنكارِه في حقّ الإنسانِ زائداً على القدرةِ والصوتِ) [٢٩].

يتّضحُ مما تقدَّمَ أنَّ الكلامَ الحقيقيَّ عندَ الأشاعرةِ هو كلامُ النفسِ أَو المعنى القائمُ في النفسِ سواءَ أكانَ ذلك عند الخالقِ أو المخلوقينَ، واستعانَ الأشاعرةُ لإثباتِ هذا الاعتقادِ بأدلّةٍ؛ منها قولهم: ألا تَرى أنَّ أحدَنا يقولُ: (زوّرتُ البارحةَ في نفسي كلاماً، ويُقالُ: في نفسِ فلانٍ كلامٌ وهو يريدُ أن ينطقَ بهِ ويقولُ الشاعرُ:

لاَ يُعْجِبنَّكَ من أَثيرٍ لفْظُهُ ... حتى يكونَ مع الكلامِ أَصيلاً
إنَّ الكلامَ لفي الفؤادِ وإنَّما ... جُعلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلاً[٣٠].

وما ينطقُ به الشعراءُ يدلُّ على أنَّهُ من الجليّاتِ التي يَشترِكُ كافةُ الخلقِ في دَرْكِها فكيفَ يُنكر) [٣١].

والأشاعرةُ وهمُ ينافِحونَ عن مذهبِهم ذكروا أَنَّ الكلامَ النفسيَّ هو الكلامُ الحقيقيُّ وهو بهذا الاعتبارِ غيرُ العباراتِ فهو جِنسٌ خاصٌّ لا يتغيّرُ بتغيُّرِ الأزمنةِ ولا بتغيُّرِ الأُممِ، وحريٌّ بنا هنا أن نُبيِّنَ أنَّ طرحَ النظريّةِ التوليديَّةِ التحويليَّةِ الذاهبَ إلى وجودِ بنيتينِ عميقةٍ وسطحيَّةٍ للكلامِ، والذاهب كذلك إلى الحديث عن الكفاءةِ والأداءِ قريبٌ من طرحِ الأشاعرةِ الذي يذهبُ إلى أنَّ حقيقةَ الكلامِ وماهيَّتَهُ وكُنْهَهُ هو المعاني القائمةِ في النفسِ، وهذا الكلام الذي

هـو المعـاني القائمـة في النفـس يقـتربُ إلى حـدٍّ كبـيرٍ مـن القواعـدِ التوليديَّـةِ التـي تحـدَّثَ عنهـا تشومسـكي.

إنَّ هـذا الالتقـاءَ بـين الأشـاعرةِ وتشومسـكي لا يعنـي أنَّهـما متفقـانِ تمامًـا، فالأشـاعرةُ يـرونَ أنَّ هـذه الأصـواتَ المقطَّعـةَ ليسـت هـي الـكلام، بـل هـي أمـارةٌ عـلى الـكلامِ الحقيقـيِّ، أمَّـا تشومسـكي فهـو لم يُعـنَ بهـذهِ المسـألةِ؛ إذ هـو لم يبحـث في كينونـةِ الـكلامِ وحقيقتِـه، فهـذهِ لم تكـن غايتَـهُ، بـل إنَّـه ذكـرَ أنَّ البنيـةَ العميقـةَ كلامٌ، كـما أنَّ البنيـةَ السـطحيَّةَ كلامٌ، والقواعـدُ التوليديَّـةُ كلامٌ كـما أنَّ القواعـدَ التحويليَّـةَ كلامٌ، ويمكنُنـا أن نقـولَ كذلـك إنَّ المَلَكَـةَ عنـدَ تشومسـكي كلامٌ لكنَّـه حبيـسٌ في النفـسِ، والأداءُ كلامٌ أيضًـا لكنَّـه ظاهـرٌ.

واضـحٌ ممَّـا تقـدَّم أنَّ التوافـقَ بـينَ الأشـاعرةِ وتشومسـكي يتلخَّـصُ في أنَّ حديـثَ الإشـاعرةِ عـن حقيقـةِ الـكلامِ يتمثَّـلُ في أنَّـه الـكلامُ النفـسي، وهـذا عـينُ حديـثِ تشومسـكي عـن القواعـدِ التوليديَّـة، ولا يبلـغُ التوافـقُ بينهـما تمامَـهُ؛ إذ يـرى الأشـاعرةُ أنَّ الـكلامَ هـو غـيرُ العبـاراتِ، فهـو جنـسٌ لا يتغـيَّرُ بتغـيُّرِ الأزمنـةِ ولا بتغـيُّرِ الأمـم، والحديـثُ عـن الـكلام مـن هـذه الرؤيـةِ مغايـرٌ لحديـث تشومسـكي عـن القواعـد التوليديَّـةِ، فالقواعـدُ التوليديَّـةُ مجموعـةٌ مـن القواعـد المخزونـة في ذهنِ مسـتعملي اللغـةِ كُلِّهـم، وهـذا يعنـي أنَّ لـكلِّ لغـةٍ قواعدَهـا التوليديَّـةَ الخاصَّـةَ بهـا.

والحـقُّ أنَّ مـراد الأشـاعرةِ بهـذا الجنـسِ مـن الـكلام لا يتغـيَّرُ بتغـيُّرِ الأزمنـةِ والأمـم، وهـذه المعـاني موجـودةٌ في أذهـانِ النـاسِ كلِّهـم كمعنـى الأمـر والنهـي والتمنـي والترجـي.

ويـكادُ تشومسـكي يحاكـي هـذه الفكـرةَ حينـما دَعـا إلى عنايـةِ اللغـويِ بالجهـاز الداخـلي الذهنـيِّ للمتكلمـينَ بـدلَ الاهتـمامِ بسـلوكهِم الفعـلي[٣٢].

والحـقُ أن التمايـزَ وإن حصـلَ بـينَ الاشـاعرة وتشومسـكي في فهـمِ الـكلامِ النفـسي وموازنتـه بالقواعـد التوليديـة فإنهـما يـكادان يتوافقـان عنـدَ حديـثِ تشومسـكي عـن الملكـةِ فالملكـةُ عنـده متجانسـةٌ عـلى الرغـمِ مـن تنّـوع الجنـسِ البـشريّ (٣٣)، وفي هـذا اقـترابٌ كبـيرٌ مـن فهـمِ الـكلامِ النفـسي عنـدَ الاشـاعرة

ولا يكتفـي الأشـاعرةُ بذلـكَ؛ بَـلْ إنَّهـم يقولـونَ: إنَّ الـكلامَ النفـسيَ يُمكـنُ أَنْ يُعـبَّرَ عنْـهُ بغـيرِ الألفـاظِ (٣٤). (إذ قـد يُـدلُّ عليـهِ بالإشـارةِ والكتابـة كَـما يُـدَلُّ عليـهِ بالعبـارةِ، والطلـبِ الـذي هـو معنـىً قَائـمٌ بالنفـسِ واحـدٌ لا يتغـيّر مـع تغـيُّرِ العبـاراتِ ولا يختلـفُ باختـلافِ الـدّلالاتِ وغـيرِ المتغـيّرِ (٣٥) أَي مـا أَوْ ليـسَ (٣٦). مُتغـيّراً وهـو المعنـى النفـسيَّ مغايـرٌ للمتغـيّرِ الـذي هـو العبـاراتُ)(٣٧).

إنَّ الخلاصـةَ التـي يمكـن أَنْ يَخرجَ بها المـرءُ مِمّا تقدّمَ هي أَنّ الأشـاعرةَ لا ينكرونَ الـكلامَ اللفظـيّ لكنّهـم لا يعدّونَـهُ كلامـاً حقيقيـاً فهـو لا يَعـدو إلاّ أنْ يكـونَ أَمـارةً عـلى الـكلامِ النفـسيّ، وزادَوا عـلى ذلـك أَنّ الـكلامَ النفـسيّ يُمكـنُ أَن يعـبَّر عنـهُ لا بالـكلامِ اللفظـيّ وحسـبَ بـل بغـيرِهِ مـن أنظمـةِ التواصـلِ الأخـرى كالإشـارةِ والكتابـةِ وغيرهـما، والـذي يتبّـينُ مِـن طرحِهـم أَنّ المُـرادَ بالـكلامِ النفـسيّ هـو أَصَـلُ معنـى الأمـرِ وأَصْـلُ معنـى النّهـي وأَصْـلُ معنـى الخـبرِ وهكـذا فهـذه الأصـولُ لا تتغـيرُ مـن شـخصٍ لآخـرَ ولا مـن أُمّةٍ؛ لأخـرى فالنـاسُ كلُّهـم يُدركونَ في أَنْفسـهم معنـى الأَمـرِ ومعنـى النّهـي ومعنـى الخـبرِ مثـلاً، بقطـعِ النظّـرِ عـما يُؤمـرُ بـهِ أو مـا يُنهى عَنْـه أَوْ مـا يُخـبرُ بـه، وهـذا الطـرح قريـبٌ ممـا اصطلـح عليـهِ تشومسـكي بالملكـةِ إن الخلاصـةَ المسـتحصلةَ من مرادِ تشومسـكي بالقواعـد التوليديـةِ والتحويليةِ هي أنها نظـامٌ (مـن القوانـينِ التي تُعطي بشـكلٍ واضحٍ ومحـدّدٍ أوصافاً بنيويـةً للجملِ، ومن الواضـحِ أَنَّ كلَّ متكلّـم لغـة قد مَلَك زمامَ قواعدَ توليديةٍ تُجسّـدُ معرفَتَـهُ بلغتِهِ) (٣٨).

ويتابعُ تشومسكي شَرْحَهُ لمفهومِ القواعدِ التوليديةِ قائلاً: (ينبغي التأكيدُ مرةً أخرى على أَنَّ معرفَة أيِّ لغةٍ تتضمّن القابليّةَ الضمنيّةَ على استيعابِ عددٍ غيرِ محدودٍ من الجملِ)[٣٩].

ويكادُ يتوافقُ تشومسكي مع طرحِ الأشاعرةِ المتقدّم: فيقولُ إنَّ في ذهنِ كلِّ أنسانٍ يُوجدُ تركيبٌ قاعديٌّ يكونُ مسؤولاً عَنْ توليدِ العباراتِ اللغويّةِ، وهذه العباراتُ يمثّلُ لها ببِنياتٍ عميقةٍ ومكوّنين تأويليّين؛ المكوّنِ الدلاليّ والمكوّنِ الصواتيّ (أو الفونولوجيّ)، اللّذين يؤوّلانِ تباعاً للبنيةِ العميقةِ والبنيةِ السطحيّةِ[٤٠].

إنَّ طرحَ تشومسكي هذا يُعيدُنا إلى ما قَالَهُ الغزاليُّ وهو أَنَّ كلامَ المخلوقينَ لا يَخرجُ عن أَنْ يكونَ إما كلاماً بالصوتِ والحرفِ أو بكلامِ النفسِ الذي ليسَ بصوتٍ ولا حرفٍ[٤١].

إنَّ هذا الفهمَ لمصطلحِ الكلامِ بوصفِهِ معبّراً عن الكلامين النفسِي والصوتي عبَّرَ عنْهُ الفخرُ الرازي حينَما ذكَرَ أنَّ (لفظةَ الكلامِ عند المحقّقينَ مِنَا تُقالُ بالاشتراكِ على المعنى القائمِ بالنفسِ والأصواتِ المتقطّعة المسموعةِ والمعنى الأوّلُ ممّا لا حاجةَ في أصول الفقه إلى البحث عنه)[٤٢].

والحقُّ أنَّ قولَ الفخرِ الرازي: إنَّ لفظةَ الكلامِ تُطلقُ على الاشتراكِ في فهمِ الكلامِ كان فيهِ اقترابٌ من موقفِ المعتزلةِ ؛ ويبدو أنّ الذي دعاه إلى ذلك أَنَّهُ أَورد هذا التعريفَ في كتابٍ من كتبِ (أصولِ الفقه)، وهو في هذا الموضعِ معنيٌّ بالوصولِ إلى حكمٍ شرعيٍّ سليمٍ، والوصولُ إلى ذلك الحكمِ لابدَّ أن يكونَ بالكلامِ المسموعِ، لا بالمعاني القائمةِ بالنفسِ والظاهرُ أنَّ الفخرّ الرازيَّ لم يكن قادراً على الفرارِ من دعوةِ شيوخِهِ الأشاعرة فذكر أن الكلام يحملُهُ

المحقّقون على الاشتراك بين المعنى القائم في النفس والأصوات المقطّعة.

ويكادُ الباحثُ يقعُ على التوافقِ بينَ طَرحي الأشاعرةِ ونظريّةِ النحوِ الكليِّ التي قَدَّمَها تشومسكي؛ فالأخيرُ يرى أَنَّ النحوَ الكليَّ يتكونُ من مجموعةٍ من المبادئِ العامة التي تَحكُمُ جميعَ اللغاتِ الطبيعيّةِ (٤٣).

ويكادُ يَبلغُ التوافقُ بينَ طرحِ الأشاعرةِ وتشومسكي ذروتَهُ؛ فالأخيرُ يَرى أَنَّ بؤرةَ الاهتمامِ باللّغةِ ينبغي أَنْ تَنْصبَّ على اللغةِ الداخليةِ انصبابَها وتركيزَها على اللُّغة الخارجيةِ، أَي التركيزُ في الدراسةِ والاهتمامِ بالسلوكِ اللغويِّ الخارجيِّ وما ينتجُ عَنْهُ من عدمِ الغفلةِ عن دراسةِ أنظمةِ التّمثيلِ الذهني والحوسبةِ (٤٤).

وهذا عَينُ ما دَعتْ إليهِ الأشاعرةُ مِنْ عَدِّ الكلامِ الحقيقيّ هو الكلامِ النفسيّ، أَي العنايةِ بالسلوكِ اللغويّ الداخلي للإنسانِ، ولا يبتعدُ طرحُ الأشاعرةِ المتعلّقُ بماهيةِ الكلامِ وحقيقتهِ عن ثنائيةِ اللغةِ والكلامِ التي طرحَها سوسيرُ، فسوسيرُ يعتقدُ أنَّه لا بدَّ من (الفصلِ بينَ كلا قِسْمي دراسةِ الكلامِ وهما قِسمٌ جوهريٌّ موضوعُهُ اللغةُ، وهي جماعيةٌ في جوهرِها ومستقلّةٌ عن الفردِ، وهذه دراسةٌ نفسيّةٌ بحتةٌ، وقسمٌ آخر ثانويٌّ وموضوعُهُ الجانبُ الفرديُّ من الكلامِ، أي اللّفظَ بما في ذلكَ عمليّة التصويتِ وهو نفسيٌّ فيزيائيٌّ) (٤٥).

فاللُّغةُ عند سوسيرَ تُقابلُ المعانيَ القائمةَ في النّفسِ عند الأشاعرةِ، والكلامُ عندَهُ يُشكّلُ الجانبَ الفرديَّ الإنجازيَّ من اللغةِ، وهو يُقابلُ الأصوات التي تُعدَّ أَماراتٍ على الكلامِ عند الأشاعرةِ.

وفي سياقِ عَرْضِ القضايا اللسانيّةِ التي تَحْتشِدُ بها قضيّةُ خلقِ القرآنِ تَعرَّضُ الأشاعرةُ وَهم يدافعونَ عن مبدئهم القائلِ: (إنَّ كلامَ اللهِ قديمٌ) لثلاثةِ أمورٍ وهي (قراءةٌ، ومقروءٌ وقرآنٌ) فذكروا أَنَّ المقروءَ هو كلامُ اللهِ القديمُ القائمُ في

ذاتهِ، وهذا يعني أَنَّ المقروءَ يمثّل الجانبَ الذهنيَّ في العمليةِ اللسانيّةِ [٤٦]، (وأَمّا القراءةَ فتمثّلُ الجانبَ الإنجازيَّ الفعليّ في العمليّةِ اللسانيّةِ، فهي (فِعلٌ ابتداؤهُ القارئُ بعد أنْ لَمْ يكن يَفعلهُ وهو مَحسوسٌ) [٤٧].

إِنَّ تأكيدَ الغزاليِّ أَن القراءةَ لا تعدو أن تكونَ أكثرَ من كونها بَدْءَ القارئ بالقراءةِ بعدَ أنْ كانَ متوقفاً عنها لَدليلٌ آخرُ على أنّ الجانبَ الإنجازيَّ في الفعلِ الكلاميِّ لن يكونَ للقارئ بَلْ المنجزُ الحقيقيُّ للفعلِ الكلاميِّ هو كلامُ اللهِ المقروءُ، ويؤكّد هذا المعنى قولُ الغزاليّ: (وهو محسوسٌ).

ويبدو أَنَّ ما ذَكرهُ الغزاليُّ والأشاعرةُ من تركيزٍ على الجانبِ الذهنيِّ في العمليةِ اللسانيةِ قريبٌ ممّا ذهبتْ إليهِ المدرسةُ التوليديةُ التي تَذهبُ إلى أَنَّ العنايةَ ينبغيْ أَنْ تنصبَّ على الأُسسِ العميقةِ المفسِّرة للسلوكِ الخارجيِّ، ووجَّهَت تلكَ المدرسةُ (اهتمامَها إلى العملياتِ الذهنيّةِ القادرةِ على إنتاجِ عددٍ غيرِ محدودٍ من الجملِ بدلاً من التركيزِ على ما قِيلَ بالفعل)[٤٨].

ويعدُّ استعمالُ الغزاليِّ للّفظ الفعلِ في النصِّ المتقدم فيهِ اقترابٌ من نظريةِ الفعلِ الكلاميِّ التي تُؤكِّدُ أَنَّ الجانب القوليَّ الإنجازيَّ هو الجانبُ الذي ينبغي أَنْ يُعنى بهِ، والحقُّ أَنّنا اذا ما أَردنا أَنْ نَعرِضَ موقفَ الأشاعرةِ على نظريةِ الفعلِ الكلامي فسنجدُ أَنَّ موقفهَم فيهِ قدرٌ من التناقضِ فَهُمْ من جانبٍ يعدّون المعنى القائمَ في النفسِ هو الكلام الحقيقيّ، وهذا الأمرُ لا تتفّقُ معه نظريةُ الفعلِ الكلامي فهي تَستبعِدُ كلَّ طرحٍ من هذا القبيلِ، ومِنْ جانبٍ آخَرَ يبدو عَدُّهم الكلامَ المنطوقَ هو فعل الكلام، فيهِ تماهٍ مع نظريةِ الفعلِ الكلاميِّ [٤٩].

بَقِي لنا أَن نوضّحَ المرادَ بمصطَلحِ القرآنِ الذي أَورده الغزاليُّ آنفاً؛ فالقرآنُ على وَفْق فَهمِه هو المقروءُ وهو كلامُ الله القديمُ غيرُ المخلوقِ، وهكذا فهو

سَيدلُّ على (المقروءِ بالألسنةِ وانْ أُريد به القراءةُ التي هي فِعلُ القارئ ففعلُ القارئ لا يسبق وجودَ القارئ وما لا يسبقُ وجودَ الحادثِ فهو حادثٌ) (٥٠).

ويطرحُ مناوئو الأشاعرة رأيًا مفادُهُ أَنَّ الكلامَ ليسَ سوى المسموع، وهذا ينطبقُ على الكلامين الإلهيّ والبشري معاً؛ أَلم ترَ أَنّ الله تعالى قال: ﴿وإنْ أحدٌ منَ المشركينَ إستجارَكَ فَأجرهُ حتّى يسمعَ كَلامَ اللهِ﴾ (٥١).

وليسَ كلامُ اللهِ سوى هذا المسموعِ فيجيبُ الأشاعرةُ بقولهم: إنَّ هذا من بابِ تسميةِ الدلالاتِ باسمِ مدلولاتها، والكلامُ الحقيقيُّ هو كلامُ النفسِ: (تحقيقاً ولكنَّ الألفاظَ لدلالتِها عليهِ أيضاً تُسمّى كلامًا كما تُسمّى علماً؛ إذْ يُقالُ سمعتُ عِلمَ فُلانٍ وإنّما نسمعُ كَلامَهُ الدَّالَ على علمهِ، وأمّا في اسمِ المسموعِ، فإنَّ المفهومَ المعلومَ بسماعِ غيرِهِ قد يُسمّى مسموعاً، كما يقالُ: سمِعتُ كَلامَ الأميرِ علَى لسانِ رسولِهِ، ومعلومٌ أن كلامَ الأميرِ لا يقومُ بلسانِ رسولِهِ؛ بَلْ المسموعُ كلامُ الرسولِ الدالُّ على كلامِ الأميرِ) (٥٢).

إذنْ ليسَت الأصواتُ إلاَّ أَماراتٍ على الكلامِ الحَقيقيّ وهو المعنى القائمُ في النفسِ، واضحٌ ممّا تقدَّمَ أَنَّ مصطلحَ الكلامِ يشملُ المعنى القائمَ في النفسِ، كما أَنَّهُ يشملُ الأصواتَ المقطّعةَ على وفقَ فَهمِ الأشاعرةِ، وهم كما لاحظنا يُسمّونَ الكلامَ المتعارَفَ عليهِ المكوّنَ من أَصواتٍ مقطّعةٍ بالمسموعِ تمييزاً لَهُ عن الكلامِ الحقيقيِّ وهو المعنى القائمُ في النفسِ، وهذا التّفريقُ من قبلِ الأشاعرةِ بينَ نوعين من الكلامِ، أحدُهما: داخليٌّ والآخرُ: خارجيٌّ، أمرٌ توافقَ مَعَهُ فيجوتسكي، وفيجوتسكي وإن قال بالنوعين السابقين إلا أنه تحدث عن وجود فرق جوهري بينهما تمثل في أَنَّ حديثَ المرءِ لذاتهِ لا يلتزم المرءُ فيه بالرسمياتِ الضروريةِ لمخاطبةِ الآخرينَ، وفي هذا النوعِ من الكلامِ

إشارةٌ إلى ما نَحتاجُه من التعبيرِ عن أفكارِنا لا أنفسنا [٥٣].

ويتابعُ فيجوتسكي حديثَهُ عن الكلامِ الداخليِّ مبيّنًا أَنه (لا يمثل الفكرَ الداخليَّ بأسرهِ فبعضُ هذا الفكرِ قد لا يظهرُ في صورةٍ لفظية) [٥٤].

إنَّ ذهابَ فيجوتسكي إلى أَنَّ الفكرَ قد لا يَظهرُ كلُّه بصورةٍ لفظيةٍ فيه نَقضٌ لمذهبِ الأشاعرةِ الذاهبِ إلى أن (المعنى القائمَ في النفسِ) وهو ما يمكنُ أَن نصطلحَ عليهِ بالكلامِ الداخليّ الذي يعبرّ عَنْهُ بشكلٍ كاملٍ بالكلامِ المسموعِ؛ فهذا الأخيرُ لا يعدّ عندهم سِوى أَماراتٍ على الكلامِ الحقيقيَّ وهو المعاني القائمةُ في النفسِ، والحقُّ أَنه من الصعبِ وضَعُ حدودٍ فاصلةٍ بين هذين المستويينِ من الكلامِ وبين الفكرِ من جَهةٍ واللفظِ من جهةٍ ثانيةٍ، يؤيد ذلك تقسيم فيجو التعقيداتِ المتداخلةَ للعملياتِ العقليةِ على (١. فكرٍ غيرِ لفظيَّ، ٢. حديثٍ داخليٍّ وحديثٍ اجتماعَيَّ) [٥٥].

ثانيا: المعتزلة

ولو انتقلنا الى المعتزلةِ لوجدنا أنّهم لا يتفقونَ مع طَرحِ الأشاعرةِ الذاهبِ إلى أَن المسموعَ المُستفادَ من كلامِ الأميرِ المنقولِ على لسانِ الرسولِ قد يُسمّى مسموعاً أَيْ كلاماً، فالمعتزلةُ يَرَونَ أَنَّ هذا لا يُسمى كلامًا بل هَوُ حكايةٌ لكلامِ الأميرِ لا كلامُ الأميرِ نفسِه، وعلى وفقَ الرؤيةِ الاعتزاليةِ هذه يَنقسمُ الكلامُ على ضربين: كلامٍ قيلَ على وَجَهِ الابتداءِ، وآخرَ قيلَ على سبيلِ الاحتذاءِ، فأمَّا ما وَقعتْ عليه المواضعةُ من كلامٍ أو غيرهِ ففاعلُهُ قد يأتي بهِ على جهةِ الابتداءِ أو الاحتذاءِ، والفرقُ يتمثّل في أَن (المبتدئَ بالكلامِ متصرّفٌ فيما يأتي بهِ، ويتمكّنُ من ذلك بعلومٍ مخصوصةٍ تتناهى فيصحُّ التحدّي بهِ على هذا الوجهِ، فتعلمُ عندَه المزيةِ والمساواةِ وليسَت كذلك الحكايةُ؛ لأنَّها ليسَ بتصرفٍ

في الكلام، وإنَّما تقتضي أَداءَ المحفوظِ، وقد يصحَّ ذلك، ممَن لا يفهم اللغةَ ولا المعانيَ كما يصحُّ ممن يفهمُ ذلك، والفرقُ بين الأمرين واضحٌ) (٥٦).

غَدا واضحاً الفرقُ بين الكلامين على وفقَ الرؤيةِ الاعتزاليةِ؛ فالكلامُ الذي يُؤتى بهِ على سبيلِ الابتداءِ كلامٌ يحتاجُ إلى علوم مخصوصةٍ؛ وهو الكلامُ الذي يصحُّ التحدي به؛ أي أنَّه كلامُ الله ﷻ المتمثلُ بالقرآنِ الكريم، وأمّا الكلامُ الذي يُؤتى بهِ على سبيلِ الاحتذاءِ فهو الذي لا يَحتاجُ إلى معرفةٍ مخصوصةٍ؛ بل أَنَّه قد يُؤتى بهِ ولا يَحتاج إلى معرفةٍ بضوابط اللغةِ وأسرارِها؛ فهو يُؤدّى بشكلٍ محفوظٍ تلقينيّ.

إنَّ الخلاصَة التي يُمكنُ أَنْ يَخرجَ بها المرءُ مِن هذا الجدلِ الفكريِّ تتمثّلُ في أَنَّ الأشاعرةَ يَرَوْنَ أَنَّ الكلامَ المسموعَ ليسَ إلا دَلالةً على الكلام الحقيقيِّ وهو المعنى القائمُ في النفس وهذا المسموعُ كذلكَ فيه ما هو كلامٌ حقيقيّ، وفيه ما هو دلالةٌ على الكلام الحقيقي، فالكلامُ الذي يُنقلُ عن شخصٍ آخرَ ليسَ إلا من بابِ تسميةِ الشيءِ باسم دلالتِه، أَما المعتزلةُ فيرونَ أَنَّ الكلامَ ليسَ إلا الأصواتَ المقطَّعةَ، وهذا الجنسُ من الكلام أَيضاً يمكنُ أَنْ يَنقسمَ على قسمين: كلام على سبيلِ الابتداءِ؛ وهذا هو الذي يُمكنُ التحدّي بهِ، وهو كلامُ الله تعالى، وهو عندهُمْ أَصواتٌ مقطَّعةٌ أيضًا وكلام آخرَ يكونُ على سبيلِ الاحتذاءِ وهو الذي لا يُمكنُ التحدّي بهِ وهو يتّمثل بقراءتنا للقرآنِ وكتابتِنا لَهُ والقراءة هي أصواتٌ مقطَّعة أيضاً .

ويبدو أَنَّ الأماميةَ لَمْ يبتعدوا عَنْ هذا الفهمِ فعندهم أَنَّ القرآنَ الذي نَقرأُهُ ليسَ هو كلامَ اللهِ على الحقيقةِ بل هو حكايةٌ لكلامهِ تعالى؛ يقول الشيخ المفيُد: (إنَّ حكايةَ القرآنِ قَد يُطلقُ عليها اسمُ القرآنِ وإنْ كانتْ في المعنى غيرِ المحكيّ على البيانِ) (٥٧).

ويعمِّم الشيخُ المفيدُ قضيَّةَ الحكايةِ، فيذكرُ أَنَّها تَشملُ (كُلَّ كلامٍ يُسمَّى بهِ على الإطلاقِ؛ فيقالُ لمن حكَى شعرَ النابغة: (فلانٌ أَنشدَ شِعرَ النابغةِ)، (وسمعنا من فلانٍ شعرَ زهيرٍ)، كما يُقال لِمن امتثلَ أَمرَ رسولِ اللهِ في الدّين وعمل بهِ: (فلانٌ بدينِ رسولِ الله ٦ (فيطلقونَ هذا القولَ إطلاقاً من دونِ تقييدٍ وإن كانَ المعنى فيه مِثْلَ ما ذكرناهُ من الحكايةِ على التّحقيق) [٥٨].

ويختمُ الشيخُ المفيدُ عَرْضَهُ لهذهِ المسالة موضّحاً أَنَّ هذا الرأيَ الذي تبّناه هو مذهبُ جمهورِ المعتزلةِ [٥٩].

إنَّ قولَ المفيدِ إنَّ هذا المذهبَ مذهبُ جمهورِ المعتزلةِ فيه قَطْعٌ على التوافقِ التامِ بينَ الإماميةِ والمعتزلةِ في هذه المسألةِ؛ ولمزيدٍ من إيضاح موقفِ المعتزلةِ من الكلامِ نقولُ إنّهم كانوا يَرَوْنَ أَنّ حقيقةَ الكلامِ تَكْمنُ في كونهِ أصواتًا مقطّعةً يستوي في ذلك الشاهدُ والغائبُ؛ لذا فقد رَدّوا دعوةَ الأشاعرةِ القائلةَ بِأَنَّ الكلامَ معنى قائمٌ في النفسِ وذكروا في هذا السياقِ أَنَّهُ لا فرقَ بين ما عدَّتْهُ الأشاعرةُ كلاماً قائماً في النفسِ والأصواتِ المقطّعةِ فالأولُ عند المعتزلةِ كلامٌ خفيٌّ والآخرُ كلامٌ جهيرٌ. يقولُ القاضي عبدُ الجبارِ المعتزليّ معبِّراً عن هذا المعنى (إنَّ من يحدِّثُ نَفْسَهُ لو حُبِسَتْ أنفاسُه لتعذَّر ذلك عليهِ كتعذّرِ الكلامِ، ولو رامَ إظهارَه لصارَ كلاماً مَسْموعاً) [٦٠].

وكُتِبَ لموقفِ المعتزلةِ هذا أَنْ يجدَ له قبولاً في الدراساتِ المعاصرةِ؛ فقد ذهبَ الدارسونَ المحدثونَ إلى أَنَّ العملياتِ اللغويةَ الذهنيةَ تصاحبُها عادةً إشاراتٌ معينةٌ مرتبطةٌ بجهازِ النطقِ مبدوءةٌ بجهازِ التّنفسِ مروراً بالحنجرةِ وسقفِ الفمِ وباللسّانِ والشفتين، وهذا دليلٌ على أَنَّهُ لا يمكنُ حدوثُ عمليةِ التفكيرِ من دونِ أَنْ تصاحبَ ذلك مشاركةٌ في أعضاءِ النطقِ [٦١] .

ويَعمدُ المعتزلةُ إلى نَفي أيِّ رابطٍ بينَ الكلامِ الذي هو أصواتٌ مقطَّعةٌ والفكرِ الذي هو المعنى القائمُ في النفسِ كما يرى الأشاعرةُ، واستعانوا في هذا السياقِ بعبارةِ أنَّ فلاناً يتكلَّمُ من غيرِ فكرٍ؛ فهذه العبارةُ توضِّحُ انفصامَ العلاقةِ بين اللغةِ والفكرِ(٦٢).

ومِنْ جُملةِ الأدّلةِ التي حاولَ فيها المعتزلةُ أَنْ يردّوا بها دعوى الأشاعرةِ الذاهبةَ إلى أنَّ الكلامَ هو المعنى القائمُ في النفس ما ذكَره ابنُ متويه من أنَّ من يتصورُ في داخلهِ أشكالَ حروفِ الكتابةِ لا يسمّى كاتباً، ولما لَم يُسمَّ من يفكّرُ في أَشكالِ الحروفِ المكتوبةِ كاتباً، فإنَّ من يفكرُّ بالحروفِ المنطوقةِ ويحدّث نفسَهُ بكيفيةِ ترتيبها لا يُسمّى متكلماً(٦٣).

إنَّ كلَّ ما تقدّم من خلافاتٍ واضحةٍ جوهريةٍ في قضيةِ الكلامِ الإلهيّ بين المعتزلةِ والأشاعرةِ لا تسمح لنا بقبول الخلاصةِ التي انتهى اليها نصر حامد والذّاهبَ إلى أنَّ الخلافَ بين المعتزلة والأَشاعرة خلافٌ شكليٌّ(٦٤).

ثالثا: الإمامية

ولم يبتعد الإماميةُ عَنْ رأيِ المعتزلةِ المتمثّلِ في أَن الكلامَ قوامُهُ وكينونتُه تكمنُ في الجانبِ الصوتيّ؛ يقول الشيخُ المفيدُ: (إنَّ الكلام هو تقطيع الأصواتِ)(٦٥)، ونِظامُها على وجهٍ يفيدُ المعاني المعقولاتِ، والأصواتُ عندي ضربٌ من الأَعراضِ وليسَ يصحّ على الكلامِ البقاءُ من حيثُ يستحيلُ ذلك على الأعراضِ كلِّها(٦٦).

وبعدَ أن بيّن المفيدُ أَنَّ حقيقةَ الكلامِ تكمنُ في الجانبِ الصوتيِّ راح يعلِّل ظاهرةَ عدمِ إمكانِ بقاءِ الأصواتِ (التي هي كلامٌ عندهُ) بعدَ النطّق بها موضّحاً أَنَّ وراءَ ذلك الصفةَ الخطيّةَ للحدثِ اللسانيِّ ولأَنَّهُ لَو بَقي الكلامُ

لَمْ يكنْ ما تقدَّمَ من حُروفِ الكلمةِ أَولى بالتأخُّر ولا المتأخّرِ أَولى بالتقدّم وكانَ ذلك يؤدّي إلى فسادِ الكلامِ وارتفاعِ التفاهم به على كلِّ حالٍ[٦٧].

وَاضحٌ أَنَّ الشيخَ المفيدَ يربطُ بين عدمِ إمكانيةِ بقاءِ الأصواتِ والجانبِ الدلاليّ؛ فلو بَقِيَتْ الأصواتُ لأدىّ إلى فسادِ الكلامِ وعدمِ إمكانيةِ التفاهُم به، وهكذا يكونُ الرجلُ قَدْ ذَكرَ الظاهرةَ وعلّل أبعادَها، وهو في هذا يماثلُ القاضيَ عبدَ الجبارِ المعتزليَّ كما وضّحنا ذلك سابقاً، ونواصلُ تتّبعنا لآراءِ الإماميةِ المتعلّقة بالكلامِ الإلهيّ، وما يتفرَّعُ عنها ونقف عند أحد رجالِ القرنِ الخامس وهو أبو الصلاح الحلبيّ (ت ٤٤٧هـ) الذي ذكَرَ أَنَّ اللهَ متكلّمٌ وأَنَّ كلامه فِعلهُ [٦٨]، وهو في هذا يتابعُ المعتزلةَ والإماميةَ لكنَّ ما امتازَ به أبو الصلاحِ عن المعتزلةِ بيانُه أَنَّ وصفَ القرآنِ (بأنّه مخلوقٌ يفيدُ: مكذوبٌ، يقالُ: هذا كلامٌ مخلوقٌ ومختلَقٌ ومفتَعلٌ بمعنى مكذوبٌ، ومنه قوله: ((وخرقوا له بنين وبنات)) [٦٩]. وقوله: ((إنْ هذا إلّا خُلُقُ الأولين)) [٧٠].

وإذا كانَ إطلاقُ الخلقِ على الكلامِ يفيدُ الكذبَ وَجَبَ تنزيهُ كلامِه تعالى عن هذا الوصفِ، (ومنها ما رُوي عن أئمتِنا: مِن القولِ بتبديعِ مَنْ وصفَه بالخَلْق) [٧١].

يَتبيّن من النصِ المتّقدم أَنّ أبا الصلاح يرى أَنّ الوصفَ الأدقّ الذي يليقُ بالقرآنِ الكريم هو بأنه محدثٌ لا مخلوقٌ، ويرى أَبو الصلاحِ أَنَّ الكلامَ (ما تَألَّفَ من حَرفين فصاعِدًا من الحروفِ المعقولةِ، إذا وقَعَ مِمّن يصحُّ منه أو مِنْ قَبيلِه الإفادةُ، الدلالةُ على ذلك: أَنّهُ متى تكاملت هذه الصفاتُ كانَ كلامًا، وإن اختلَّ شيءٌ منها لم يكُن كَلامًا) [٧٢].

وَيُخصّص أَبو الصلاحِ المرادَ بأْتلافِ الحروفِ بالجانبَ الصوتيَّ؛ فيوضحُ

أنَّ الكلامَ من جنسِ الصوتِ ولمّا كان كذلك فهو لا يبقى وهو في الوقتِ نفسهِ متجدّدُ الحدوثِ بعد أَنْ لم يكن موجوداً، ويخلصُ مِنْ عدمِ إمكانيةِ بقاءِ الصوتِ والكلامِ إلى حقيقةِ مفادُها أَنَّ الكلام مَحدَثٌ لا قديمٌ (٧٣).

وَغَنيٌّ عن البيانِ قَولُنا أَنَّ أَبا الصلاحِ في مَوْقِفِه مِن الكلامِ وَرْبطِهِ إيّاهُ بالجانبِ الصوتيِّ إنّما شايعَ فيه سائرَ المعتزلةِ والإماميّةِ، وبعدَ أَن فَرغ أَبو الصلاحَ مِن بيانِ حقيقةِ الكلامِ عَندَهُ أَكّد أَنَّهُ تعالى مُتكلِّمٌ من حيثُ إنَّهُ (قادرٌ على كلّ ما يصحُّ كونَه مقدوراً والكلامُ كذلك) (٧٤).

ويستعينُ أَبو الصلاحِ بحجةٍ لسانيّة تداوليّة يثبتُ بها أَنَّ كلامَهُ تعالى مُحدثٌ غيرُ قديم فيقولُ: إنَّ الخطابَ ينبغي أَنْ يكونَ موجّهاً لمتلقٍ موجودٍ يسمعُهُ ويفهمُهُ ولو كانَ الخطابُ غيرَ ذلك لغدا عبثاً ولو افترَضنا أَنَّ الله تعالى خَاطبَ بكلامهِ القديم المكلّفينَ مع عدمِهم لصارَ خطابهُ ضرباً من العَبَث تعالى عن ذلك عُلوّاً كَبيراً (٧٥).

ولا تَبدو فكرةُ أبي الصلاحِ الذاهبةُ إلى ضرورةِ أَنْ يكونَ المرادُ بمصطلح الخطاب ضرورةَ وجودِ من يُوجَّهُ إليه الخطاب من متبنياتِ الرجلِ، فقد سَبَقَهُ إليها كلٌّ من الشريفُ المرتضى وابن متويه (٧٦).

ولم يكتفِ الشريفُ المرتضى ببيانهِ أَنّ الخطابَ يُطلقُ على مَنْ تَصحُّ منه الإجابةُ فذَكرَ أَنَّ الخطابَ مُفارقٌ للكلام؛ فالكلامُ لا يُشترط فيه ذَلك وهكذا يُصبحُ كلُّ كلامٍ خطابًا وليسَ كلُّ خطابٍ كلامًا، وعليه يكونُ الخطابُ أَخصَّ من الكلام(٧٧).

وقد طَابقَ الشيخُ الطوسيُّ الشريفَ المرتضى في فَهْمهِ للمصطلحينِ السابقينِ؛ أَعني بهما الكلامَ والخطابَ مطابقةً تامةً (٧٨).

ومِنَ الذيْنَ أسهموا في النقاشِ في هذهِ المسألةِ من الإماميةِ ابنُ ميثمَ البحرانيُّ (ت٦٧٩هـ) وقد تولّى عرضَ آراءِ الأشاعرةِ التي تُؤكِّدُ أَنَّ كلامَ اللهِ قديمٌ وأنَّ الكلامَ هو معنًى قائمٌ في النفسِ [٧٩] وردَّ عليهم مُبيّناً أنه لو قِيلَ كذلك لَجازَ أَنْ يُوصَفَ الأخرسُ بِأَنَّهُ متكلمٌ لحُصولِ المعنى القائمِ في نفسِهِ [٨٠].

ويتولّى العلامةُ الحليُّ تفصيلَ موقفِ الإماميّةِ من الكلامِ عموماً والكلامِ الإلهِّي خصوصاً فيذكرُ أَنَّ حقيقَةَ الكلامِ ما هي إلا المؤلَّفُ من الحروفِ المسموعةِ [٨١].

إنَّ تنصيصَ العلامةِ الحليَّ في تعريفهِ على لفظِ المؤلّفِ ليسَ إلا تأكيداً منْهُ أَنَّ الكلامَ ينبغي أَن يكونَ أصواتاً منظومة متتابعة في النطق، فالكلام (مُركّبٌ من الحروفِ والأصواتِ ويمنعُ اجتماعَ حرفينِ في السماعِ دُفعة واحدةً، فلا بُدَّ أن يكونَ أحدُهما سابقاً على الآخرِ، والمسبوقُ حادثٌ بالضرورةِ، والسابقُ على الحادثِ بزمانٍ مُتناهٍ حادثٌ بالضرورةِ) [٨٢].

وغَنيٌ عن البيانِ أَنّ في النصِ المتقدّم إشارةً واضحةً إلى الصفةِ الخطّيّة التي أَشرنا إليها في أكثرِ من موضعٍ، ويغوصُ العلامةُ الحليُّ في حقيقةِ الكلامِ فيذكرُ أَنَّ الكلامِ إذا ما صدرَ عن المتكلّمِ فلا شكَّ أنَّ وراءَه أمورًا ستةً لا غيرَ (الأَولَّ: صدورُ الصوتِ والحروفِ عنْهُ، الثاني: علْمُه بِما يتكلّم بهِ، الثالثُ: تصوّرُ النسبةِ بينَ الموضوعِ والمحمولِ، الرابعُ: وجودُ الرابطِ اللّفظي بينَهما، الخَامسُ: توجُّهُ السامعِ لمعاني كلامِ المتكلّمِ، السادسُ: فَهْمُه لمرادِ المتكلّم من كلامِهِ) [٨٣].

ويُخرجُ العلامةُ الحليُّ المتلقي ابتداءً من حُكْمِ ما يُمكنُ أَنْ يُطلقَ على تلقّيهِ الكلامَ كلاماً فيذكرُ أَنَّ الخامسَ والسادسَ وهما المتعلّقان بالمتلقّي (ليسا كلاماً بالاتفاق) [٨٤].

ويتابعُ الرجلُ محاوَلاتِهِ الجادّةَ التي يريدُ أَن يقطعَ فيها في شَأنِ حقيقةِ الكلامِ فيبينُ أنَّ الثاني والثالثَ والرابَع (لا تسمّى كلامًا أيضاً؛ لأَنَّها إما تصوُّر الرابطِ، وإمّا النسبةُ الواقعيةُ واللاواقعيةُ، وإمّا العلمُ، أو الإرادةُ، أَو مجردُ الوهمِ والخيالِ، وليسَ وراءَها شيءٌ يسمى كلاماً نفسياً) (٨٥).

ويتوقَّفُ العلامةُ الحليُّ عندَ الأمرِ الرابعِ المتعلّقِ بوجودِ الرابطِ اللفظيِّ بين الموضوعِ والمحمولِ أيْ اللفظ الموضوع المخصَّص بحملِ مَعنًى من المعاني فيبُيّن أنَّهُ لا يتعلّق بالكلام أيضاً (لأنَّ مفرداتِ اللّفظِ والرابطِ أمورٌ خارجيةٌ غيرُ قديمةٍ وهكذا معانيها غالباً)(٨٦).

ويخلصُ العلامةُ الحليُّ من استبعادِهِ الأمورَ الخمسةَ عن حقيقةِ الكلامِ إلى حقيقةٍ مفادُها أنَّ الكلامَ بالضرورةِ والوجدانِ ليس إلا الأمرَ الأولَ (وهو كيفٌ عَرضٌ محسوسٌ بالسمعِ فلا يكونُ كلامُ النفس معقولاً) (٨٧).

توضِّحُ العبارةُ الأخيرةُ للعلامةِ الحليّ أَنّه في تأصيلِهِ المتعلِّقِ بتأكيدِ أَنَّ الكلامَ متعلِّقٌ بالجانبِ الصوتي أَنّه في سياقِ الرّد على طرحِ الأشاعرةِ الذاهبِ إلى أَنَّ حقيقةَ الكلامِ هي الكلامُ النفسيُّ، ويتناولُ العلامةُ الحليُّ طرحَ الأشاعرةِ المتقدّمَ بالتفنيدِ قائلاً: إنَّما ذهبوا إليهِ من وجُودِ كلامٍ نفسيٍ غيرِ معقولٍ لهم ولغيرِهم، فهو يُريدُ هنا أَن يُبيِّنَ أَنَّ متبناهم هذا هو غيرُ معقولٍ عندَهُم قبلَ غيرِهم (٨٨).

وإذا كانَ هذا الكلامُ النفسيُّ لا سبيلَ إلى تصوِّرِهِ عقلاً في الشاهدِ (فكيفَ يجوزُ إثباتُهُ للهِ تعالى؟ وهل هَذا هو إلاَّ هوَ الجهلُ العظيم؟ لأَنَّ الضرورةَ قاضيةٌ بِسْبقِ التصوّرِ على التصديقِ) (٨٩).

والواقعُ أننا بقطعِ النّظرِ عن اتفاقنا أو اختلافنا معَ العلّامة الحليّ فيما يسوقُ من ادلةٍ ردَّ بها على الاشاعرةِ ،إلا أنهُ لا يمكننا أن نرتضيَ اللغةَ الحادةَ

التي استعملها في ردّهِ عليهم إنَّ العلامةَ الحليَّ بعد أَنْ فرغَ من بيانِ حقيقة الكلام رابطاً إيَّاهُ بالجانب الصوتيِّ راحَ يبّينُ حقيقةَ الكلام الإلهيِّ؛ فذكرَ في هذا السياقِ أنَّهُ تعالى مُتكلِّم فهو تعالى (أَوجدَ حُروفاً وأَصواتاً مَسموعةً، قائمةً بالأجسامِ الجماديّةِ، كما كلَّم الله تعالى موسى من الشجرةِ، فأوجْدَ فيها الحروفَ والأصواتَ...) (٩٠).

واضحٌ من النصّ المتقدّم أنَّ العلامةَ الحليَّ ظلَّ يُصرُّ على أَنَّ كلامَ اللهِ تعالى ﷻ أصواتٌ مقطّعةٌ أوْجدها في الأجسامِ الجماديّةِ.

ويتابعُ العلامةُ الحليُّ عرْضَهُ لموقفِ الأشاعرةِ ونَقْدَهُ لَها فيذكرُ في هذا السياق أَنَّ مَنْ (أثبتوا قدم الكلام اختلفوا، فذهبَ بعضُهم: إلى أنَّ كلامَهُ تعالى واحدٌ مغايرٌ لهذه المعاني وذهبَ آخرون: إلى تعدُّدهِ والذين أثبتوا وحدَتَهُ خالفوا جميعَ العقلاء في إثبات شَيْء لا يتصوَّرونَهُ هم ولا خصومُهُم) (٩١).

وَرّداً على طَرْح الأشاعرةِ المتقدّم يوضّحُ العلامةُ الحليُّ أَنَّ الكلامَ جُزئياتٌ وضروبٌ ومعانٍ متعدّدةٌ فهو (يكونُ خبراً، أو أمراً، أو نهياً، أو استفهاماً، أو تنبيهاً، وهو الشاملُ للتمّني، والترّجي، والتعجّب، والقسم، والنداءِ ولا وجودَ لَهُ إلا في هذه الجزئيات) (٩٢). أي أنّ ما يصطلح عليه أنّه كلام لا يمكن أن يغادر هذه الأساليب والضروب من الكلام.

ويُواصلُ العلامةُ الحليُّ تفنيدَ طَرْحِ الأشاعرةِ الذاهبِ إلى أَنّ كلامَهُ تَعالى قديمٌ فيذكرُ في هذا السياقِ أَنَّ السمعَ (ويريدُ بهِ المأثورَ في النصوصِ) والعقلِ متوافقان على أَنّ كلامَهُ تعالى ليسَ أزلياً (٩٣).

ويعلِّلُ انطباعَهُ هذا قائلاً: إنَّ الكلامَ (مركَّبٌ من الحروفِ والأصواتِ، ويمتنِعُ اجتماعُ حرفينِ في السماعِ دفعةً واحدةً، فلا بُدَّ أَن يكونَ أحدُهُما سابقاً على

الآخرِ، والمسبوقُ حادثٌ بالضرورةِ، والسابقُ على الحادث بزمانٍ مُتناهٍ حادثٌ بالضرورةِ) (٩٤)، وقَد قال الله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكرٍ من ربِّهم مُحْدَثٍ﴾ (٩٥).

ويحتجُّ العلامةُ الحليُّ بحجّة تواصليةٍ يحاولُ من خلالِها ردَّ طرح الأشاعرةِ الذاهبِ إلى قِدَم الكلامِ الإلهيّ، فيذكُر أَنَّ كلَّ متكلّم لا بُدّ أن يكون خطابُهُ موجَّهاً إلى مُتَلقٍّ، وبناءًا على هذه المسلّمة فإنَّ خطاب الله للناسِ مع عدمهم في زمن الخطاب يعدُّ سَفهاً وعبثاً تعالى الله عنه علواً كبيراً، يقولُ العلامةُ الحليُّ عارضاً حُجَّتهُ التواصليّةَ هذه (فإنَّ الواحدَ مِنّا لو جَلسَ في بيتٍ وَحَدَهُ مُنفردا، وقالَ: يا سالمُ قُمْ، ويا غَانِمُ اضربْ، ويا سَعيد كُلْ، ولا أحدَ عندَهُ من هؤلاء، عَدّه كلُّ عاقلٍ سَفيهاً، جاهلاً، عَادِماً للتحصيل، فكيفَ يَجوزُ مِنْهم نسبةُ هذا العقلِ الدالّ على السّفه، والجهلِ، والحماقةِ إليه تعالى؟ وكيفَ يصحُّ منه تعالى أن يقولَ في الأزل: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ (٩٦) ولا مخاطب هناك، ولا ناس عنده؟) (٩٧).

ويقول: ﴿يا أيّها الذينَ آمنوا﴾ (٩٨). و﴿وأقيمُوا الصّلاةَ﴾ (٩٩). و﴿لا تأكلوا أموالَكُم بَينَكُم﴾ (١٠٠). و﴿ولا تَقتلوا أولادَكم﴾ (١٠١). و﴿أوفوا بالعقود﴾(١٠٢).

والحقّ أنّ هذا الفهمَ للمرادِ بمصطلحِ الخطابِ القائمِ على وجودِ مرسلٍ ومتلقٍّ للرسالةِ اللغويّةِ فهمٌ يكاد يجمع عليه أغلبُ الأصوليين والمتكلمين، يقول: الأسنوي (ت٧٧٢هـ) «الخطاب والمخاطب في اللغة لا يكون إلا من مخاطِب ومخاطَب بخلاف الكلامَ فإنه قد يقوم بذاته طلب التعلم من ابن سيولد كما ستعرفه وعلى هذا فلا يسمى خطاباً إلا إذا عبر عنه بالأصوات بحيث يقع خطاباً بالموجود قابل للفهم (١٠٣).

إنّ مصطلح المخاطِب الذي ذكره الأسنوي يعد واحداً من الطروحاتِ اللسانيةِ التي ذكرها المتكلمون لاسيما المعتزلة الذين فرقوا بين ثلاثةِ مصطلحاتٍ متعلقةٍ بمرسلِ الرسالةِ اللغويةِ وهي:

١-المتكلّم: ويطلقُ على فاعل الكلامِ بصرفِ النظرِ عن زمنِ القيامِ بذلك الفعل أو الغايةِ التي أُستُعمل من أجلها الكلام، والمتكلم قد يكونُ متكلماً في نفسِهِ ام مع غيرِهِ.

٢-المكلّم: وهو أخصُّ من الناحيةِ الدلاليةِ من المتكلم وهو يطلق على من يخاطب غيرهُ وهو محددٌ بزمنٍ معينٍ وبناءاً عليه يمكن أن يقال إنَّ كل مكلمٍ متكلمٌ وليس كل متكلمٍ مكلماً [١٠٤].

٣-المخاطِب: وهو من الناحية الدلالية أخصُ من المكلم، إذ يشترط فيه أنْ يكونَ للكلامِ متلقّ قادر على الرد عليه، فالمخاطبة مفاعلةٌ [١٠٥]

إنّ المتأمل لمصطلحي المكلّم والمخاطبِ يقعُ على حقيقةٍ مفادها أنَّ كلامَ المكلم لا يشترط فيه أن يكون المتلقي موجوداً وقادراً على رد الخطاب فقد يُكلّم أحدنا المعدومَ والنائمَ [١٠٦]. في حين أنّ المخاطِبَ بخلاف ذلك، فهو على الخلافِ الذي بيّناه سابقاً.

واضحٌ من ما تقدم أن المعتزلة والأشاعرة وإن كانوا مختلفين حول مصطلح الكلام، إلا أنهم متفقون حول مصطلح الخطاب. ويُعدُّ ذهابُ الأسنويّ الى أنَّ المراد بالمخاطَبِ ضرورةَ وجودِ متلقٍ لذلك الخطاب أمرٌ أفادَ المعتزلةَ و الامامية في متبناهم الذاهبِ الى ضروؤةِ أن يكون للخطاب عموماً وللخطاب الألهيّ خصوصاً متلقٍ لهُ.

ولأبي القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ) وقفة عند الكلام الإلهي، ذكر فيها أنَّ مما لا خلاف فيه (أنّ الكلام المؤلَّفَ من الحروف الهجائية المتدرجة في الوجود أمرٌ حادثٌ) [١٠٧]، وفي هذا إشارة منه إلى أنّه لا خلاف بين المسلمين في أنّ الكلام الذي هو أصوات مقطَّعة مطبوع بالصفة الخطّيّة التي سبق الحديث عنها، لكنّ الخلاف يكمن في اعتقاد الأشاعرة بوجود كلام آخر تجتمع (أجزاءه وجوداً) [١٠٨] وبما أنّه من الإماميّة، فقد تبنّى القول بنكران هذا النوع من الكلام.

الخاتمة:

لقد كانَ من نتائجِ رحلةِ البحثِ المتقدّمةِ أن توصلتُ إلى النتائج الآتية:

١-مثَّلتِ الحججُ اللسانيةُ إحدى اقوى الحججِ في الصراعِ الفكريّ بينَ الأَشاعرةِ من جهةٍ والمعتزلةِ والإماميَّةِ من جهة أُخرى.

٢- انقسمتْ آراءُ الفرقِ الثلاثةِ في مسألةِ الكلام على موقفينِ رئيسين مثَّل الأول الأشاعرة وكانتْ خلاصةُ رأيهم تذهبُ إلى أَنَّ الكلامَ هو المعنى القائمُ في النفسِ أما الأَصواتُ المقطَّعةُ فهي أَماراتُ على ذلك الكلام. أمّا الموقفُ الثاني فمثَّلَهُ المعتزلةُ والإماميّةُ معاً، فهم يذهبونَ إلى أَنَّ حقيقةَ الكَلام لا تعدُو هذهِ الأصواتَ المقطَّعةَ.

٣- وجدَ رأيُ الأَشاعرةِ الذاهبِ إلى أَنَّ الكلامَ الحقيقيَّ هو المعنى القائمُ في النفسِ، أمّا الأصواتُ المقطَّعةُ فهي أماراتٌ عليه، صدىً في الدرسِ اللسانيِّ المعاصرِ لاسيما عند تشومسكي، الذي تحدَّثَ عن وجودِ بنيتينِ للكلام إحداهما عميقةٌ وهي التي تقتربُ من الكلامِ الذي هوَ معانٍ قائمةٌ في النفس، وأُخرى سطحيةٌ وهي التي تقتربُ من الأَصواتِ المقطعةِ.

٤- اقتربَ رأيُّ الأَشاعرةِ الذاهبُ إلى أنَّ معانيَ الكلامِ من أَمرٍ وخبرٍ ونهي راسخةٌ في الأذهانِ يُقرُّها كلُّ مستعملٍ للغةِ بقطعِ النظرِ عن انتمائِهِ وبيئتِهِ اللغويّةِ، قبولاً في الدرسِ اللسانيِّ المعاصرِ لا سيما عند تشومسكي أيضاً الذي تحدثَ عن وجودِ قواعدَ توليديةٍ تحكمُ كلَّ مستعملي اللغّةِ.

٥- اتفق الجميعُ على أَنَّ الكلامَ المرتبطَ بالصوتِ عرضٌ مدركٌ لا يبقى.

٦- توافقَ الأشاعرةُ وفيجوتسكي على وجود كلامين أَحدهما داخليٌّ وآخر خارجيٌّ.

٧- كان رأيُ المعتزلةِ والإماميَّةِ أَقربَ إلى نظريةِ الفعلِ الكلاميِّ التي تركّزُ على الجانبِ الإنجازي الفعليَّ من الكلام.

٨-كانَ من بينِ الحُجَجِ اللسانيةِ التي استعانَ بها المعتزلةُ والإماميَّةُ لنصرةِ دعواهُم، ذهابُهم إلى أَنَّ الخطابَ ينبغي أن يوجَّه لمن يكونُ حاضراً ومستمعاً ومعنياً بذلك الخطاب وهذا الطرحُ يقتربُ كثيراً من النظريةِ التداوليةِ التي تركزُ على التفاعلِ بين مرسِلِ الرسالةِ اللغويةِ ومتلقِّيها.

الهوامش

(١)رسالة في القرآن وكلام الله، لابن قدامة : ٣.

(٢)تاريخ الطبري، للطبري:٥/ ١٨٦.

(٣)ينظر: تاريخ الطبري:٥/ ١٨٦ .

(٤)كذا في الأصل المطبوع ، والصواب: (محكم).

(٥)الزخرف: ٣.

(٦)تاريخ الطبري:٥/ ١٨٦.

(٧)م.ن.

(٨)ينظر: النهاية ونكتها، للشيخ الطوسي: ١/ ١٠٠.

(٩)ينظر: وضوء النبي ٦، لعلي الشهرستاني :١/ ٤٠٨، وواقع التقية عند المذاهب والفرق الإسلامية من غير الشيعة الأمامية، لثامر هاشم :١٧٢.

(١٠)ينظر: بداية المعرفة، لحسين العاملي:٣٥.

(١١)ينظر: الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري:١/ ٦٧ ، والتعرف لمذهب اهل التصوف، لأبي بكر البخاري:٤١، والأنصاف للباقلاني، والاعتقاد، لابن أبي يعلى: ٢٥.

(١٢)ينظر: اعتقاد أئمة الحديث، لأبي بكر الجرجاني:٥٧.

(١٣)الكهف: ١٠٩.

(١٤)الإبانة : ٦٧.

(١٥)النحل:٤٠.

(١٦)تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني:٢٦٨، وينظر: الأنصاف:٢٤.

(١٧)التعرف لمذهب اهل التصوف:٣٩-٤٠، وينظر الأنصاف:٩٤، وقواعد العقائد، للإمام الغزالي: ٥٨-٥٩.

(١٨)ينظر: التعرف لمذهب اهل التصوف: ٤٠.

(١٩)م.ن.

(٢٠)التعرف لمذهب اهل التصوف:٤١.

(٢١)ينظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل:٢٦٩.

(٢٢)تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل:٢٧٠.

(٢٣)دروس في الألسنية العامة، لسوسير:١١٤.

(٢٤)ينظر: دروس في الألسنية العامة: ١١٤-١١٥، ومدخل إلى المدارس اللسانية، للسعيد شنوقه: ٢٨.

(٢٥)ينظر: نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، لفخر الرازي: ٤٧.

(٢٦)المغني في أبواب التوحيد والعدل، لعبد الجبار المعتزلي: ٧/ ٥.

(٢٧)التفكير اللساني في الحضارة العربية، لعبد السلام المسدي: ٢٢٤، وينظر: المغني: ٧/ ٣٤.

(٢٨)ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، للإمام الغزالي:٦٨.

(٢٩)الاقتصاد في الاعتقاد: ٦٨، وينظر نهاية الأقدام في علم الكلام، للشهرستاني:٣٢٢-٣٢٣.

(٣٠)شعر الأخطل: ٥٦٠.

(٣١)الاقتصاد في الاعتقاد: ٦٨-٦٩.

(٣٢)ينظر: المدارس اللسانية المعاصرة، لنعمان بوقره: ١٣٨.

(٣٣)ينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية، لتشومسكي :٧٢.

(٣٤)ينظر: شرح المواقف، للقاضي الجرجاني:٩٣-٩٤.

(٣٥)في الأصل المطبوع (غير المتغير غير المتغير)، ويبدو أنّ الصواب (غير المتغير).

(٣٦)في الأصل المطبوع (أما أو ليس)، ويبدو أنّ الصواب (ما ليس).

(٣٧)شرح المواقف:٩٤.

(٣٨)جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي:٣١-٣٢، وينظر: المدارس اللسانية تسابق وتطور، لجفري:١٤٦.

(٣٩)جوانب من نظرية النحو:٣٩.

(٤٠)ينظر: اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، تشومسكي:١١، والمدارس اللسانية تسابق وتطور:١٣٦، والمدارس التوليدية التحويلية: ٨.

(٤١)ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد: ٦٨، والمنخول من تعليقات الأصول، للغزالي: ١٦٦.

(٤٢)المحصول ، لفخر الرازي: ١/ ١٧٧.

(٤٣)ينظر: اللسانيات التوليدية: ١٥.

(٤٤)م.ن.: ١٦.

(٤٥)دروس في الألسنية العامة: ٤١.

(٤٦)ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد: ٧٣.

(٤٧) الاقتصاد في الاعتقاد: ٧٣.

(٤٨)مدخل إلى اللسانيات، لمحمد يونس علي: ١٠٥.

(٤٩)ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد: ٧٣، والمدخل إلى علمي الدلالة والتخاطب: ٣٤ .

(٥٠)الاقتصاد في الاعتقاد: ٧٣.

(٥١)التوبة:٦.

(٥٢)الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ٧٤.

(٥٣)ينظر: التفكير واللغة، لجودت جريت: ١٢٦.

(٥٤)التفكير واللغة:١٢٦.

(٥٥)م.ن.

(٥٦)المغني:١٦/ ٢٢٣.

(٥٧)أوائل المقالات: ١٢٢.

(٥٨)م.ن.

(٥٩)م.ن.

(٦٠)المغني: ٧/ ١٦ .

(٦١)ينظر: اللغة والفكر ، لنوري جعفر:١٠٤ .

(٦٢)ينظر: المغني:٧/ ١٨ .

(٦٣)ينظر: التذكرة في أحكام الجواهر الأعراض، لابن متويه: ٣٦٧.

(٦٤)ينظر: اشكاليات القراءة وآليات التأويل: ١٣٧-١٣٨.

(٦٥)كذا الأصل المطبوع، والصواب:(الأصوات).

(٦٦)أوائل المقالات:١٢٦.

(٦٧) م.ن.

(٦٨)ينظر: تقريب المعارف، لأبي الصلاح الحلبي:١٠٦.

(٦٩)الانعام:١٠٠.

(٧٠)الشعراء:١٣٧.

(٧١)تقريب المعارف: ١٠٨.

(٧٢)م.ن.:١٠٦.

(٧٣)ينظر: تقريب المعارف: ١٠٦.

(٧٤)م.ن.: ١٠٧.

(٧٥)تقريب المعارف: ١٠٧.

(٧٦)ينظر: الذريعة: ١١/ ٨، والتذكرة في أحكام الجواهر والاعراض: ٤٠٨.

(٧٧)ينظر: الذريعة : ١/ ٨.

(٧٨)ينظر: العدة في أصول الفقه، للشيخ الطوسي: ١/ ٨.

(٧٩)ينظر: قواعد المرام، للبحراني: ٩٢-٩٤.

(٨٠)ينظر: قواعد المرام:٩٥.

(٨١)ينظر: نهج الحق وكشف الصدق:٥٩.

(٨٢)نهج الحق وكشف الصدق:٦١.

(٨٣) نهج الحق وكشف الصدق: ٥٩، (الهامش).

(٨٤) م.ن.

(٨٥) م.ن.

(٨٦) م.ن.

(٨٧) نهج الحق وكشف الصدق: ٥٩، (الهامش).

(٨٨) م.ن.:٦٠.

(٨٩) م.ن.

(٩٠) م.ن.

(٩١)م.ن.: ٦٠-٦١.

(٩٢)ينظر: نهج الحق وكشف الصدق:٦٠.

(٩٣) نهج الحق وكشف الصدق: ٦١.

(٩٤)نهج الحق وكشف الصدق: ٦١.

(٩٥)الأنبياء:٢.

(٩٦)البقرة: ٢١.

(٩٧)نهج الحق :٦١-٦٢.

(٩٨)البقرة:٢١، ٤٣، ١٠٤.

(٩٩)م.ن.:٤٣.

(١٠٠)النساء:٢٩.

(١٠١)الأنعام: ١٥١.

(١٠٢)المائدة: ١.

(١٠٣) نهاية السول وشرح منهاج الأصول: ١٧.

(١٠٤)ينظر المغني في ابواب التوحيد والعدل ٧/ ٦٦ وينظر شرح الاصول الخمسة.

(١٠٥)ينظر التذكرة في احكام الجواهر والاعراض:٤٠٨.

(١٠٦)ينظر المغني في ابواب التوحيد والعدل ٧/ ٦٩.

(١٠٧) البيان في تفسير القرآن للخوئي: ٤٦٠.

(١٠٨)م.ن.

المصادر والمراجع

* الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي موسى الأشعري (ت ٣٢٤هـ) تحقيق: فوقية حسين محمد، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.
* الإحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين علي محمد الآمدي (ت ٤٥٦هـ)، اعتنى به وصححه: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
* إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، د.نصر حامد أبو زيد ،المركز الثقافي العربي بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
* الاعتقاد لأبي الحسين بن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت ٥٢٦هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٢٣هـ.
* اعتقاد أئمة الحديث، لأبي بكر أحمد بن إبراهيم بن مرداس الجرجاني (ت ٣٧١هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
* الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، وضع حواشيه عبد الله محمد الخليلي، دار العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
* الإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به، لأبي بكر محمد الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق وتقديم: محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٦٣م.
* أوائل المقالات للشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
* بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية لمحسن الحزازي، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، ط٥، ١٤١٨هـ.
* بداية المعرفة (منهجية حديثة في علم الكلام)، لحسن مكي العاملي، د. ط، ١٤١١هـ.
* البيان في تفسير القرآن، لأبي القاسم الخوئي، اعتنى به: د. فاخر جبر مطر، مركز علوم القرآن، ديوان الوقف الشيعي، ط١، دار الصنوبر، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.
* تاريخ الطبري، (تاريخ الأمم والملوك)، لمحمد بن جرير الطبري، ط١، ١٤٠٧هـ.
* التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض للحسن بن متويه المعتزلي (ت ٤٦٩هـ)، تحقيق سامي نصر، فيصل بدير علوان، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة .
* التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق البخاري الحنفي (ت٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
* التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب،

ليبيا- تونس، ١٩٨١م.
* التفكير واللغة، لجوري جرين، ترجمة: عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.
* تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧هـ)، تحقيق: فارس تبريزيان الحسون، ١٣٧٥هـ -١٤١٧هـ.
* تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل لمحمد أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، المؤسسة الثقافية، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ -١٩٨٠م.
* جوانب من نظرية النحو، لنعوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩٨م.
* دروس في الألسنية العامة، فردينان سوسير، تعريب: صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، دار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، د. ط، ١٩٨٥م.
* الذريعة إلى أصول الشريعة، للشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين (ت٤١٣هـ)، تحقيق: أبو القاسم كرجي، مطبعة عقد دانشكاه، طهران، د. ط، ١٣٤٨هـ .
* رسالة في القرآن وكلام الله لأبي محمد موفق الدين ابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، تحقيق: يوسف بن محمد السعيد، دار أطلس الخضراء، السعودية، ط١، ٢٠٠٤م.
* شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ)، حققه وقدم له، د.عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة- القاهرة ط١ ١٩٦٥م.
* شرح المواقف للقاضي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: علي بن محمد الجرجاني، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٠٧م.
* شعر الأخطل، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٩٩٦م.
* العمدة في أصول الفقه، لأبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: محمد رضا الأنصاري، مطبعة سفاره، قم، ط١، ١٤١٧هـ.
* قواعد العقائد، لأبي حامد محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: موسى محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٥هـ.
* قواعد المرام في علم الكلام، لابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتبة المرعشي النجفي، ط٢، ١٤٠٦هـ .
* اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، نعوم تشومسكي، تقديم وترجمة: محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد، المتحدة.
* اللغة والفكر، لنوري جعفر، الرباط، ١٩٧١م.
* المحصول لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت٦٠٦هـ) دراسة وتحقيق:

د. طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
* المدارس اللسانية تسابق وتطور، لجفري بامسون، ترجمة محمود يارته، جامعة الملك سعود،
* المدارس اللسانية المعاصرة ، لنعمان بوقرة، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة
* المدخل إلى اللسانيات ، لمحمد محمد يونس علي، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط١
* مدخل إلى المدارس السانية، لسعيد شنوقه، المكتبة الأزهرية للتراث، دار السلام الحديثة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.
* المغني في أبواب التوحيد والعدل- إملاء القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت٤١٥هـ)، حقق بإشراف طه حسين وإبراهيم مدكور، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ١٩٦٠-١٩٦٥م، الجزء السابع (خلق القرآن)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ١٩٦١، الجزء السادس عشر: إعجاز القرآن، تحقيق: أمين الخولي، ١٩٦٠.
* مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، لمحمد محمد يونس علي، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.
* المنخول من تعليقات الأصول، لأبي حامد محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، حققه واعتنى به د. محمد حسن هينو، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
* نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٧
* نهاية الإقدام في علم الكلام، تصنيف الشيخ عبد الكريم الشهرستاني، حرره وصححه: الفرد جيوم.
* نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٣١٧هـ.
* نهاية السول في شرح منهاج الأصول لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي (ت٧٧٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
* النهاية ونكتها للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) والمحقق الحلي (٦٧٦هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤١٢هـ .
* نهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: رضا الصدر، مطبعة ستارة، قم، مؤسسة الطباعة والنشر، دار الرحمة، قم، ١٤٢١هـ .
* واقع التقية عند المذاهب والفرق الإسلامية من غير الشيعة الإمامية، لثامر هاشم حبيب العميدي، د. ط، ١٤١٥هـ .
* وضوء النبي ، لعلي الشهرستاني، ستارة، قم، ط١، ١٤١٥هـ .

العمق الديني وأثره في عالمية اللغة العربية

أ.د. صادق حسين كنيج

رئيس منظمة برايل للمكفوفين في بغداد

د. بلسم محمد صكبان

كلية التربوية المفتوحة في واسط

ملخص البحث

يعد العمق الديني من أهم العوامل التي أسهمت في تعزيز مكانة اللغة العربية عالمياً، من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فاستطاع هذان العاملان أن يحافظا على هوية اللغة العربية عبر القرون ،كما أسهمت عوامل التعلم والتعليم في فروع إعجاز القرآن والبلاغة في سهولة ترسيخ قواعد اللغة في أذهان الأجيال المتعاقبة، على الرغم من محاولة اختراق اللغات الأجنبية ميدان اللغة وحصنها ، ألا إنها باءت بالفشل نتيجة انتشار الدراسات اللغوية والدينية، وتوسعها في البلاد العربية. وقد أسهم انتشار أفكار الإسلام وتحول الكثير في بلدان العالم المختلفة الى الإسلام، في فتح آفاقاً جديدة لنشر اللغة وتعلمها، فضلا عن سهولة التواصل الحديثة التي ساعدت في سرعة انتشار اللغة العربية. ومن هذا المنطلق جاءت فكرة الورقة البحثية في بيان أثر العمق الديني في نشر اللغة العربية عالمياً وقد وُزعت على فقرات، الأولى كانت في الدين والهوية لما للدين من أثر واضح في رسم هوية الشعوب، أما الثانية فناقشت انتشار اللغة العربية، وذلك للحاجة الى بيان أصول اللغة العربية وأثر الإسلام في نشرها، ثم تلتها الفقرة الثالثة في استيعاب اللغة العربية لكل ما هو جديد نتيجة شيوع الاتهامات الموجهة للغة بالقصور والعجز عن مواكبة التطورات الحديثة. واخيراً خرجت الورقة البحثية بنتائج وختمت بالمصادر التي اعتمدت فيها.

الدين والهوية

تعد العلاقة بين الدين والهوية علاقة معقدة متشابكة، لكون لأن للدين أثراً مهماً في تشكيل الهوية الفردية والجماعية، فالإيمان والمعتقد يوفران إطاراً

للقيم التي يعتمد عليها الافراد في حياتهم اليومية، فضلا عن ممارسة الشعائر الدينية كالصلاة والصيام والحج تؤثر في الروتين اليومي للأفراد ثم المجتمع، ويشكل جزءاً من الهوية الشخصية، لذا لغة الدين تؤثر في اللغة المستعملة في الثقافة المحلية كالأعياد والمناسبات والتقاليد الاجتماعية، فضلا عن أن الانتماء للدين يعزز الشعور بالانتماء للمجتمع ويقوي الروابط بين أفراده، فلأحداث الدينية مثل الحج أو الاحتفالات الجماعية تُعزز الهوية الجماعية وتقوي الشعور بالتضامن. في كثير من الدول، كما يؤثر الدين في القوانين والسياسات، مما يعكس هوية الدولة الدينية أو العلمانية. و يمكن ان تكون الرموز الدينية جزءًا من الهوية الوطنية، مثل العلم أو النشيد الوطني الذي يحتوي على إشارات دينية.

والبحث في الهوية الثقافية للامة من المباحث الحديثة التي ظهر الاهتمام بها منذ القرن التاسع عشر، وتواصلت العناية بها حتى وقتنا الحاضر، إذ أصبحت الأمم تهتم كثيراً في الحفاظ على هويتها والدفاع عنها[1].

وتبدو هويات الجماعة أقوى وأكثر تجريداً من هويات الفرد، وهي تغذي الإحساس الفردي بماهيتها، وهذا الاندماج بين الهوية الفردية والجماعية يعطي التصور العام للهوية قوته، لذا يظهر بوضوح دخول الهوية في ترابط مهم مع المعتقد الديني ولا يمكن التعبير عن الاثنين إلا باللغة، ومن هنا ظهرت علاقة اللغة بالهوية.

أثر اللغة في تشكيل الهوية:

ان اللغة ولّدت الهوية، فلها الأثر في الادراك، وهي المعبر عن المشاعر والاحاسيس التي يشعر بها الفرد ثم المجتمع.

فهوية أية أمة تكمن في صفاتها التي تميزها من سائر الأمم، ، (والاعتراف بوجود كيان وطني جغرافي تحدده اللغة)[٢] يمثل هوية وانتماء لذلك الوطن، فالعلاقة بين اللغة والهوية علاقة عضوية، فأينما وجدت لغة مستقلة وجدت أمة مستقلة، وجذور الهوية العربية تمتد عميقاً في التاريخ، فقد أكدت الدراسات اللغوية أن العرب هم من جملة الأقوام الجزرية وأن لغتهم من أكثر اللغات قرباً من اللغة الأم وأقواها صلة وأكثرها شبها بها، وعُدت اللغة وعاء ثقافة الأمة ووسيلة التفكير الذي يحدد رؤية العالم، لذا مثلت معرفتها أهم ركائز تحصين الهوية، فبدأ العرب تأكيد هويتهم المتميزة مع شعورهم بجاذبية الحضارة الغربية قبل انتشار العولمة، ثم بدأ التفاعل الذي عدّه العرب هجمة غربية وصورة من صور الحروب لانتزاع الهوية، فكان للغة أثرها للتمييز بين الشعوب، فمثلا ميز اليونانيون أنفسهم من البربر، لأن البربر شعب لا يتحدث اليونانية، واستعمل اليهود في الاندلس اللغة العبرية بوصفها وسيلة تحفظ طقوسهم الدينية، كل هذا يفسر سعي هؤلاء إلى التمييز الديني وألى الحفاظ على الهوية[٣].

وبقي التمييز الديني من أهم مميزات ارتباط الشخص بهويته، فمع تسهيل وسائل الاتصال واختراق الجدران، لم تستطع اختراق جدار الهوية والنزاعات القومية أو الدينية الاختراق الكافي، وان كانت أمريكا من تتزعم هذا الاختراق، بدليل أنها تضم أكبر الجاليات منذ عقود، إلا أن تلك الجاليات ماتزال تعيش في أحياء متميزة تتمسك بلغاتها وعاداتها وتقاليدها، وتحاول ابرازها في كل مناسبة، ولما كان لكل مرحلة نهوض أو اصلاح هوية تنتمي إليها، فإن نهوض المجتمعات في الوقت الحاضر في ظل التطورات المعاصرة هويته غربية، ومن

سمات الهوية أنها تجمع المنتمين إليها تحت لوائها بلغة واحدة تمثل الهوية، لذا أصبحت الإنجليزية في الوقت الحاضر اللغة التي اخترقت معظم اللغات ومنها العربية، لأنها لغة التكنلوجيا والعلوم، فاندفعت دول العالم تذود عن هويتها محاولة الحفاظ عليها من خطر الإنجليزية، فأفرزت ساحة الدفاع دولاً حصنت لغاتها القومية بسياسة لغوية رصينة كفرنسا مثلا، على حين تنازلت دول أخرى عن هوياتها لصالح غيرها معلنة تبعيتها الثقافية كالسنغال وجنوب السودان، وبهذا استمر الصراع اللغوي بين دول العالم للحفاظ على هويات الشعوب وانتماءاتها القومية ، فمن قوانين اللغات أن اللغة إذا عُرفت انتشرت في مساحات واسعة من الأرض.

انتشار اللغة العربية:

كانت شبه الجزيرة تتمتع بمناخ ملائم للزراعة وغيرها من الأنشطة الحضارية، ولكن بعد غلبة الجفاف والمناخ الصحراوي هاجر السكان الى أطرافها الشمالية على شكل موجات فكانت هجرة الأكديين والعموريين والكنعانيين والفينيقيين والاراميين والعبرانيين والانباط الى العراق والشام[٤]، فتلقى العراق والشام الموجات المهاجرة واختلطوا مع سكانها وكانت حدودهم معلومة لم يستطيعوا السكن في البوادي والتنقل في شبه الجزيرة إلا بعد ترويض الجمل واستخدامه في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، أما قبل ذلك فلم يكن بوسع العرب اجتياز الصحارى[٥] لذلك بقيت اللغة في هذه البوادي، يتكلمها العرب، ولم تخرج خارج نطاق الصحراء حتى ظهر الإسلام.

انتشار اللغة العربية في ظل الاسلام

ان ظهور الإسلام في حياة العرب جعلهم يعيشون تحت روابط اجتماعية

موحدة تقوم على أساس الولاء للعقيدة الإسلامية واتباع قيادة الرسول(ص)، فاستطاع العرب بفضل الرسالة الإسلامية ان يتوحدوا سياسياً ودينياً وينتقلوا الى خارج موطنهم الأصلي محررين ومبشرين لنشر القيم الحضارية بين شعوب العالم كافة، فمثلا حملوا معهم إلى الأندلس لغتهم وأدبهم، وعلى الرغم من قلتهم النسبية في مجتمع ينتمي إلى أقوام تتكلم بلغات تختلف عن لغتهم، لم يذوبوا في هذا الخضم البشري ولم يفقدوا مميزاتهم الخاصة ولم يضيعوا لغتهم، بل على العكس سادت الأندلس وفرضت نفسها على المجتمع باختياره فسارع إلى تعلمها والأخذ منها بنصيب، لما اتسمت به من عوامل قوة جعلتها تتغلب على تلك اللغات في صراعها اللغوي معها، لأن المنافسة بين اللغات لا تحدث على مستوى واحد في جميع الأحوال تبعاً لقدرتها على المقاومة بما تمتلكه من أسباب القوة، فإذا نزح إلى بلد ما عنصر أجنبي إثر فتح أو حرب أو هجرة وكان ينطق بلغة غير لغة أهل ذلك البلد فإن اللغتين تشتبكان في صراع ينتهي إلى إحدى النتيجتين فإما أن لا تتغلب أي منهما على الأخرى فتعيشان جنباً إلى جنب، وإما أن تنتصر إحداهما فتصبح لغة جميع السكان ولا سيما حين تكونان من شعبة لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين، ولكن الذي حدث في تغلب العربية وسيادتها في الأندلس أنها من فصيلة لغوية مختلفة عن الفصيلة التي تنتمي إليها لغة سكان البلاد الأصليين ولغة البربر الذين دخلوا إلى الأندلس مع العرب وهو أمر لا يحدث إلا إذا كان الشعب الغالب أرقى في حضارته وثقافته وآداب لغته وأشد بأساً وأوسع نفوذاً، ودامت غلبته وقوته مدة كافية، وأقامت بصفة دائمة جالية يعتد بها من أفراده في بلاد اللغة المغلوبة، فضلا عما يكمن في اللغة الغالبة من قيمة ذاتية في القدرة على الانتشار.[٦] واستمر

انتشار اللغة العربية في انحاء العالم بعد الفتوحات الإسلامية واستقرار العرب في المناطق المفتوحة، فانتشر الإسلام ونشر معه اللغة العربية، وأسهمت سياسة التعريب التي اتخذها الامويون في النقد واصلاحه وإلغاء آثار الصور والكتابات الفهلوية واليونانية على الدراهم والدنانير واحلال كتابات عربية محلها في تعزيز اللغة العربية وانتشارها، وظلت اللغة تتسع بالإسلام من جهة وباتساع الدراسات القرآنية وظهور العلوم المختلفة من جهة أخرى حتى بلغت أوجها في العصر العباسي، فأصبحت لغة الحضارة والعلوم، ثم توسعت نحو الشرق إلى الصين ونحو الغرب إلى شواطئ الأطلسي، ولكن بتغيير الأحوال السياسية دب التفتيت في جسم الدولة الإسلامية، ومع زوال الدول الإسلامية، وسيطرة الاحتلال على الدول العربية تراجعت اللغة في هذه المناطق. وتوقف انتشار اللغة بتوقف العامل الثقافي فضلا عن الضعف السياسي و لاسيما في مدة الاحتلال للدول العربية، فمثلا أثر التوسع الاستعماري في القرن التاسع عشر في نشر اللغة الإنجليزية وهيمنتها على لغات الشعوب المسيطر عليها، وتنوع الاستعمار في لغاته في الوطن العربي، ولكن حدد هدفه في نشر لغته والعمل على تربية نخب تابعة له، يرسخ بها تبعية الأقطار العربية له في أثناء استعماره وبعد رحيله عن الوطن العربي، وفرض الاستعمار لغته على التعليم ليربي الشعب على التبعية له والنفرة من اللغة العربية الفصيحة ويقطع صلة الأجيال بحضارتها العربية الإسلامية فاتبع في تحقيق هدفه طريقين:

١-اقناع الطلبة بعدم صلاحية اللغة العربية الفصيحة للتعليم، لصعوبتها كونها مكبلة بأرث طويل من الجمود ومعنية بالأدب وشعره ونثره، وبعيدة

عـن لغـة العلـم ومصطلحاتـه تفتقـر إلى البحـوث والمجلات التـي تواكـب الحداثة.

٢-تشجيع استعمال العامية على حساب العربية الفصيحة للتأثير في تراجعها. [٧]

ويبـدو ممـا تقـدم أن الاسـتعمار اللغـوي والتراجـع الثقـافي قـد أثـر في توقـف المـد اللغـوي في العـالم، وبقيـت العربيـة مـدة مـن الزمـن في مكانهـا لم تتقـدم، بـل تقدمـت عليهـا لغـات أخـرى واحتلـت مركـز الصـدارة في العـالم ولا سـيما اللغـة الإنجليزيـة، وفي هـذا الوقـت اشـتد الـصراع اللغـوي في العـالم، إذ اخـذت كل دولـة ترسـم سياسـة لغويـة تحافـظ بهـا عـلى هويتهـا وعـلى لغتهـا.

فـكان للسياسـة والتخطيـط اللغـوي أثـر واضـح في الحفـاظ عـلى اللغـات مـن الانجـراف في تيـارات العولمـة اللغويـة التـي اسـتطاعت بفضـل تطـور وسـائل الاتصـال ان تجتـاز كل الأماكـن، فلـم تسـلم لغـة منهـا.

استيعاب اللغة العربية لما هو جديد

ان المـد الإسـلامي حقيقـة واقعـة وهـو نتيجـة طبيعيـة للموجـات الحضاريـة والاجتماعيـة التـي نشرهـا الإسـلام حـين رسـم منهـج المجتمـع الإسـلامي الجديـد، فأرسـى ثوابـت ومتغـيرات تجمـع بـين الـروح والمـادة والعلـم والديـن، [٨]، فحقـق المسـلمون طريقـاً نحـو الأصالـة والحـق والإيـمان بـما يؤهلهـم لبنـاء المجتمـع الإسـلامي الجديـد القـادر عـلى تأكيـد ذاتهـم القرآنيـة ومنهجهـم الربـاني. ومـن خـلال هـذا المنهـج رافقـت اللغـة العربيـة الديـن محققـة انتصـاراً واضحـاً في الصمـود بوجـه التحديـات التـي واجهتهـا منـذ زمـن الاحتـلال ومـا بعد الاسـتقلال ولا سـيما في البـلاد التـي سـيطر عليهـا النفـوذ الفرنـسي والبريطـاني، إذ تنافسـت الثقافتـان وحاولـت كل منهـما فـرض نفوذهـا عـن طريـق ثقافتهـا ولغتهـا وعـلى حسـاب اللغـة العربيـة الفصحـى، كـما حاولـت مخططـات الاسـتشراق والتبشـير إحـلال

اللغات الأجنبية أو اللهجات العامية أو الحروف اللاتينية(كما حدث في تركيا وإندونيسيا حيث استبدلت حروف اللغتين العربية بحروف لاتينية)[٩].

فازدادت دعوات اتهام اللغة العربية بالقصور والجمود والعجز عن استيعاب مصطلحات الحضارة والعصر. ولكن للغة العربية صفات تتسم بها عن غيرها من اللغات ومنها:

١-القدم: فهي أقدم لغة بقيت مستعملة حية حتى عصرنا هذا، ونجد اليوم بين أيدينا شعراً وأمثالاً وحكماً يعود كثير منها إلى ما قبل أكثر من ثمانية عشر قرناً.

٢-السعة: وصل إلينا من مواد اللغة بمعاجمها وموسوعاتها كلسان العرب وتاج العروس وغيرهما ما هو قادر على الإحاطة بكل ما أوتي اللغوي من قدرة وحفظ حتى قال الشافعي: ((لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً وما نعلم أحداً يحيط بجميعها غير نبي))[١٠].

والحقيقة ان العربية لغة متطورة لم تقف عاجزة عن استيعاب عصور من الحياة وأجيال من المجتمع، وظلت لغة الخطاب والأدب والعلوم، فاستقبلت العربية العصر الجديد مستوعبة إياه بما تمتلك من مرونة في أنظمتها ووسائلها الذاتية في القدرة على الاتساع في مجال الاشتقاق وتقبل الجديد ثم القياس والتعريب والنحت، فلكل وسيلة من هذه الوسائل مجال في نمو اللغة واستيعاب الجديد في الحياة. وظلت العربية تتسع للجديد في العصر الأموي والعباسي في قضايا السياسة والاقتصاد والادب والفكر والفلسفة والعقائد، فاتسعت اللغة شرقاً وغرباً بظهور الترجمة في العصر الاموي وازداد اتساعها في العصر العباسي واطلاع العرب على ثقافات الأمم وعلى أدابها وفلسفاتها وعلومها، فاتسعت معارف العرب في علوم الطب والكيمياء والمعادن والنبات

والحيوان ثم الآداب والفلسفة[١١]. ثم عانت العربية في عصر الخلافة العثمانية الضعف، فأهملت وبقيت في المساجد والمعاهد الدينية في بغداد والنجف والبصرة والموصل وجوامع دمشق والقاهرة وتونس والمغرب وطرابلس والجزائر ، وسرعان ما بدأت تستعيد عافيتها ونشاطها في عصر النهضة الحديثة وتحصنت بالقرآن الكريم وبعقيدتها، وكان السعي للنهوض بهذه اللغة وجعلها مواكبة للعصر الحديث. وقد واجهت تحديات مختلفة تشجع العاميات في كل بلد وابدال الحروف اللاتينية بالعربية وسقطت تركيا في ذلك واتخذت الحرف اللاتيني في كتابتها بدلا من الحرف العربي، ثم جاءت دعوى ان العربية لا تصلح لغة حضارة حديثة كما هو حال اللغة الإنجليزية والفرنسية.

ولو تتبعنا مراحل اللغة عبر تاريخها العميق، لعلمنا أن العربية لم يوقفها أي تحد على مر العصور وإن اختلفت أسباب رقي وتطور اللغات، فعلى الرغم من أن العرب لم تعد أمة علم وتطور وثقافة ألا إن العامل الديني له الأثر الأعمق في الحفاظ على اللغة في بلدان العالم اجمع، فمن المعلوم أن العبادات ولاسيما الصلاة لايمكن إداؤها إلا باللغة العربية جعلت كل من يعتنق الإسلام عليه أن يتعلم العربية، وهكذا شاعت الدراسات الإسلامية واللغوية في مختلف أنحاء العالم مثل فرنسا وتركيا والصين وغيرها، وبناءً على ذلك ازداد عدد متحدثيها ليتجاوز المليار وتدخل لغة سادسة عالمياً وبذلك، يتضح أن اللغة العربية تكتسب طابعًا عالميًا بفضل عدد متحدثيها وتوزيعهم الجغرافي وأثرهم المهم في المجالات الثقافية والدينية والتعليمية والاقتصادية.

فالعامل الديني يكاد يكون مشتركا بين كثير من الدول العربية وغير العربية الذي أسهم في جعل اللغة تواجه التحديات المعاصرة.

النتائج

١-أسهم العمق الديني في تعزيز مكانة اللغة العربية عالمياً، من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي.

٢- إن العلاقة بين الدين والهوية علاقة معقدة متشابكة، لأن للدين أثراً مهماً في تشكيل الهوية الفردية والجماعية.

٣-ان اللغة ولّدت الهوية، فلها الأثر في الادراك، وهي المعبر عن المشاعر والاحاسيس التي يشعر بها الفرد ثم المجتمع.

٤-بقي التمييز الديني من أهم مميزات ارتباط الشخص بهويته.

٥-المد الإسلامي حقيقة واقعة وهو نتيجة طبيعية للموجات الحضارية والاجتماعية التي نشرها الإسلام.

٦- ان اللغة العربية أقدم لغة بقيت مستعملة حية حتى عصرنا هذا. وبذلك سجلت أول حضور تاريخي في عصر اللغات.

٧-يبقى العمق الديني السبب الأول في نشر اللغة العربية، وجعلها من اللغات العالمية.

الهوامش

(١) ينظر: الهوية العربية عبر حقب التاريخ: ٣٠

(٢) حرب اللغات : ١٤١.

(٣) ينظر: اللغة والهوية: ٦، واللغة العربية بين العولمة والاصالة: ٣.

(٤) ينظر: الهوية العربية عبر حقب التاريخ:٣١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه:٣٢.

(٦) ينظر: لغة الشعر الاندلسي في عصر الخلافة: ٥٧.

(٧) ينظر: أثر العولمة في اللغة العربية: ٧٤.

(٨) ينظر: المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر: ٩.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٩١.

(١٠) تهذيب اللغة للأزهري: ج ١: ٤٠٥.

(١١) ينظر: العربية والأمن اللغوي: ٢٨.

المصادر والمراجع

* أثر العولمة في اللغة العربية، د. بلسم محمد صكبان، المكتبة التربوية، الإسكندرية، ٢٠١٨.
* تهذيب اللغة- الأزهري، زاهد، تح: عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٤.
* حرب اللغات والسياسات اللغوية، لويس جان كالفي، ترجمة حسن حمزة، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨.
* العربية والأمن اللغوي، د. زهير غازي زاهد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة،٢٠١٢.
* لغة الشعر الاندلسي في عصر الخلافة، د. صادق حسين كنيج، ديوان الوقف السني، ٢٠٠٨.
* اللغة العربية بين العولمة والاصالة، د. حبيب مونسي، مجلة الممارسات اللغوية، العدد الخامس، الجزائر، ٢٠١٠.
* اللغة والهوية، جون جوزيف، ترجمة: د. عبد النور خراقي، الكويت، ٢٠٠٧.
* المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر، أنور الجندي، دار الاعتصام،١٩٨٢.
* الهوية العربية عبر حقب التاريخ، ندوة علمية لدائرة التراث العربي والإسلامي فرع التاريخ والحضارة، المجمع العلمي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٧.

التّعريب بين التراث والمعاصرة

أ.د. صلاح كاظم داوود

الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم اللغة العربية

ملخص البحث

الاقتراض اللغوي يعني: دخول ألفاظ إلى لغة ما من لغات أخرى.

حصل الاقتراض اللغوي في العربية منذ وقت بعيد، فقد اقترضت من اللغات المجاورة لها كالفارسية والسريانية والعبرية والحبشية.

يحدث الاقتراض اللغوي نتيجة لعوامل أهمها: العامل التجاري والعمل الاقتصادي والعامل السياسي وغيرها.

وحين تدخل الألفاظ المقترضة إلى العربية يحدث تغير في أصواتها وبنائها حتى تصبح موافقة للعربية وطبيعة الناطقين بها.

اتسع الاقتراض اللغوي في العصر الحديث لأن الشعوب العربية لم تعد تبحث عن اللفظ العربي ولكنها تكتفي باللفظ الأجنبي فحين دخلت الضائع المختلفة دخلت معها أسماءها فأصبح في لغتنا ألفاظ أجنبية كثيرة.

ومعلوم أن الدول حين تضعف يرافق ذلك قلة العناية باللغة فينبغي أن نحيي لغتنا ولا نسمح بأن يصيبها ضعف بكثرة الألفاظ الأجنبية التي تدخل إليها.

توطئة:

كانت شعوب الأرض عرضة لصراعات عديدة فيما بينها، وكانت نتائج هذا الصراع تختلف باختلاف الأحوال[1]، ولمَّا كانت اللّغة ظاهرة اجتماعية محكومة بما يقع بين الشعوب من صراعات فإنّها لم تكن بمنأى عن هذا التأثير؛ فمن المسلّم به أنه ما من لغة إلّا وقد شهدت صراعاً لغوياً على نحو من الأنحاء نتيجة للاحتكاك الذي تشهده اللغة في مرحلة من مراحل حياتها[2].

وغني عن البيان أن انتصاراً لا يتمّ إلّا بعد أمد طويل وجهاد عنيف، لا يخرج المنتصر من معركة على الحالة نفسها التي كان عليها من قبل. واللغة التي يتمّ لها الغلب لا تخرج سليمة من هذا الصراع. بل إنّ طول احتكاكها باللغة الأخرى يجعلها تتأثر في كثير من مظاهرها وبخاصة في مفرداتها[٣].

ويخضع هذا الصراع إلى عوامل أهمّها: نزوح عناصر أجنبية إلى البلد، وتجاور شعبين مختلفين في اللغة واشتباكهما في حرب طويلة الأمد، وتوثق العلاقات التجارية أو الثقافية بينهما[٤].

وبعد هذه اللمحة الموجزة لقانون الصراع في اللغة نكون أمام ظاهرة أخرى من ظواهر اللغة ، وهي (التعريب)؛ فهي نتيجة حتمية لهذا الصراع الذي يطبع اللغة الغالبة والمغلوبة بطابعه، بأشكال التأثير والتأثر الذي ((يختلف في كَمِّهِ وكيفِهِ ونواحي ظهوره ونتائجه في حالة تغلب لغة على أخرى عنه في حالة بقائهما معاً))[٥].

المبحث الأول: التعريب عند القدامى

التعريب من الظواهر القديمة التي نشأت نتيجة احتكاك الشعوب فيما بينها؛ إذ تقترض اللغات بعضها من بعض ألفاظاً كل بحسب حاجته. وقد أثّرت العربية في غيرها من اللغات التي احتكت بها، فأعارتها الكثير من مفرداتها، ولست أغالي إن قلت إنّ أثر العربية فاق كثيراً تأثرها بغيرها في مقدار الألفاظ، وفي نوعيتها، وفي طبيعة ذلك التأثير، وذلك يرجع إلى أنّها أضحت اللغة التي شرّفها الله تعالى بأنْ جعلها لغة القرآن الكريم، والرسالة المنتشرة في أطراف الأرض، وقد أدّى ذلك إلى انزواء الكثير من اللغات التي كانت شائعة قبل الإسلام كالفارسية والتركية والبربرية،

فضلاً عن أنّها أصبحت لغة الكتابة للكثير من الأقوام الذين اعتنقوا الدين الإسلامي، ولم يقتصر تأثير العربية في اللغات المجاورة لها، بل امتدّت يدها لتشمل الكثير من اللغات الأوربية كالأسبانية والبرتغالية والألمانية والنورماندية وغيرها[٦].

وتتصل الألفاظُ التي أعارتها العربية لغيرها من اللغات بالأمور المعنوية كالمفاهيم الشرعية، أو الخلقية والنفسية، في حين كانت الألفاظ التي اقترضتها تتصل بالأمور المادية، وأكثرها مما يدل على الأطعمة والألبسة والأدوات والمرافق والمصطلحات الإدارية[٧].

وليس يعنينا في هذا المقام أثر العربية في غيرها من اللغات، فذلك شأن المعنيين بتلك اللغات. إنّ الذي يهمنا هاهنا تأثير العربية بغيرها؛ فقد اقترضت العربية من أخواتها الجزريات السريانية والعبرية والحبشية، واقترضت كذلك من اللّغات الهندوأوربية كالفارسية واليونانية واللاتينية، وقد فاقت الفارسية جميع اللغات في عدد الألفاظ التي أعارتها إلى العربية[٨].

وسأعرض المصطلحات الدالة على التعريب.

أوّلا: المُعرَّب

يعد مُصطلح التعريب أو المُعرَّب من أشيع المصطلحات الدالة على الاقتراض في كتب اللغة، فقد استعمله أرباب هذا العلم للدلالة على الألفاظ التي أصابها تغيير عند اقتراضها ؛ وذلك أنّ التعريب: هو جعل الإنسان عربيًّا إذا دخل في العرب، ويقود ذلك إلى جعل اللفظة الأجنبية عربية إذا قبلتها اللغة واستساغتها الأذواق. وقد أخذت طائفة من القدامى بهذا المفهوم، فأطلقوا مصطلح (التعريب) على الألفاظ المقترضة سواء

أصابها تغيير أم لم يصبها، فالمُعرَّب عندَ الجواليقي هو:(ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي، ومانطق به القرآن المجيد وورد في أخبار الرسول ﷺ والصحابة والتابعين. وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها))[٩].

وقال السيوطي:((هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها))[١٠].

وقال الخفاجي:((التعريب؛ نقل اللفظ من العجمية إلى العربية))[١١]

ومنهم من اشترط التغيير عند انتقال اللفظة إلى العربية، وفي مقدمة هؤلاء الجوهري الذي ذكر أنّ:((تعريب الاسم الاعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول: عرّبته العرب وأعربته))[١٢]. واشتراط التغيير هذا يُفهمُ من قوله:((أنّ تتفوه به العرب على منهاجها)) بشكلٍ جلي، فهو يعني: أنّ العرب تُغيِّر في اللفظة عند اقتراضها لتُصبحَ موافقة لقواعد العربية، وأذواق الناطقين بها. ومن الذين اشترطوا التغيير الحريري أيضًا؛ فهو يرى أنّ الاسم الأعجمي إذا عُرِّب رُدَّ إلى ما يستعمل من نظائره في لغة العرب وزناً وصيغة[١٣].

وذهبَ الزمخشريُّ إلى أنّ((معنى التعريب؛ أن يُجعلَ عربياً بالتصُّرف فيه وتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب))[١٤].

واشترط ابن كمال باشا حصول التغيير عند تعريب الاسم الأعجمي، ولكن هذا الاشتراط ليس مطلقاً عنده؛ فقد ذكر:((أنّ اللفظ المعرّب إن كان موافقاً لواحد من أبنية لغة العرب، جارياً على وفق أصل من أصولهم، كخُرَّم، فلا حاجة في تعريبه إلى التغيير، وإلاّ فلا بدَّ من نوع التغيير إما للإلحاق بأبنيتهم كما في الدِّرْهَم... وإمّا للتوفيق لأصولهم ما في مُهَنْدِس))[١٥].

ثانيا: الدخيل

هو كلُّ كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه. هذا هو مفهوم القدامى للدخيل، فقد كانوا يطلقونه على الألفاظ المُعرّبة التي أصابها تغيير. يظهر ذلك جليًّا عند الخليل؛ فقد كان يسمي اللفظة دخيلة وإن حصل تبدل في أصواتها، فقد ذكر أن (البَرَق): دخيل في العربية[١٦]، ومعلوم أنّ أصلها بالفارسية: (بَرَه) فعُرّبت بإبدال القاف من الهاء[١٧]، ومثل ذلك الجَوَسق والكَوسَج[١٨].

وقد يكون الدخيل مرادفاً للمُعرَّب عنده، يدل على ذلك أنّه قد يصف اللفظة بأنّها مُعرّبة ودخيلة في آن واحد، كما في المُسْتقَة والفَرَانِق[١٩].

وقد نهج نهج الخليل في عدم التمييز بين الدخيل والمعرّب عامة اللغويين، فأورد الأزهري ما يُفيدُ أنَّه كان يستعمل الدخيل في الحديث عن الألفاظ المُعرّبة[٢٠]، وقد يستعمل الدخيل مرادفاً للمُعرّب[٢١].

ولم يفرق الجواليقيّ كذلك بين المُعرّب والدخيل، يبدو ذلك في قوله: ((هذا كتاب نذكرُ فيه ما تكلّمت به العرب من الكلام الأعجميّ ... ليُعرفَ الدخيل من الصريح))[٢٢]، وهذا يفيد إطلاقه (أي: الدخيل) على المعرّب أيضا، الذي ضمنه كتابه، فلا فرق عنده بين الدخيل والمُعرّب. وأورد الجواليقي طائفة من الكلمات المُعرَّبة، وقد وصفها بأنّها دخيلة[٢٣]، ونص السيوطيُّ على أنَّ المُعرّب كان يسمى دخيلاً[٢٤].

وسمّى الخفاجي كتابه: (شفاء الغليل في ما وقع في كلام العرب من الدخيل) ، وقد ضمَّنه طائفة كبيرة من الألفاظ المُعرّبة والمولّدة فدلَّ ذلك على أنّ مصطلح (الدخيل) عنده عام يشمل جميع الألفاظ التي دخلت إلى

اللُّغة بصرف النظر عن حصول التغيير فيها أو عدمه، وعن الزمن الذي اقتُرِضَتْ فيه تلك الألفاظ.

فالدخيل بهذا المعنى الواسع يشمل المُعرّب، وهو ما عَرَفَه العرب منذ الجاهلية والمولّد وهو ما عرّبه المتأخرون، وما استحدث بعد الإسلام بزمن وله أصول عربية[٢٥].

ثالثًا: المُولَّد

معلوم أنَّ (المولّد) يُقصَدُ به الذي دخل إلى العربية بعد عصور الاحتجاج[٢٦].

قد ذكره القدامى في مصنفاتهم، وميّزوا الألفاظ المُولّدة من المُعرّبة، كما نجد عند ابن دريد، وابن فارس، والجواليقي، وغيرهم[٢٧]، ثُمَّ جاء الخفاجيُّ فأولى المُولّد في كتابه (شفاء الغليل) عناية خاصة فاق بها من تقدَّمه، وعدَّ ذلك ميزة لكتابه على سواه، فقال:((وضممت إليه، أي: إلى الدخيل، قسم المُولّد، وهو إلى الآن لم يُدوّن في كتاب، ولم يرفع عن وجوه مخدراته النقاب، وقد أوردت منه ما يسُرُّ الناظر ويشرح الخاطر مع شيء من النقد والرد))[٢٨].

وقد يطلق هذا المصطلح للدلالة على الشعراء الذين جاؤوا بعد عصر الاحتجاج، وعلى الألفاظ العربية التي تغيّر معناها عند المُولّدين، فضلاً عن دلالته على الألفاظ التي اقترضتها اللُّغة بعد عصور الاحتجاج[٢٩]. ولعلّ ذلك يرجع إلى أنّ أسلافنا كانوا يسمّون الجديد الذي وقع بعد عصور الاحتجاج بالمُولّد تمييزاً له من القديم الذي يرون فيه الأصالة.

أسباب الاقتراض

يحدث الاقتراض اللّغوي نتيجة اتصال الأمم بعضها ببعض، وتزداد حركة الأخذ والعطاء بين اللّغات المُقترضة بقدر هذا الاتصال وطول مُدّتِهِ وقوّةِ أسبابِهِ[٣٠].

وقد نشأ اقتراضُ العربية من سائر اللغات نتيجة عوامل عديدة يمكن أنْ نقسمها على قسمين: عوامل مشتركة تشمل عامة الألفاظ المقترضة، ومن هذه العوامل: الهجرة، حين يهاجر شعب إلى غير أرضه تحتك لغته بلغة أهل الأرض الجديدة، وبمرور الزمن يجدون أنفسهم بحكم الإقامة الدائمة مضطرين إلى الاندماج في الوسط الذي هاجروا إليه وأقاموا فيه؛ بسبب المصالح الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية، ومن هنا اقترضوا ما احتاجوا إليه من لغة البيئة الجديدة[٣١].

وقد تنبّه بعض القدامى على أثر الهجرة في حصول الاقتراض، يقول الجاحظ:((ألا ترى أنّ أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمون (البطيخ): (الخِرْبِز)، ويسمون (السَّيمط): (الرَزْدَق)، ويسمون (المَصُوص): (المَزْوَر)، ويسمون (الشِّطْرَنْج): (الأشطرنج)، في غير ذلك من الأسماء. وكذلك أهل الكوفة فإنهم يسمون (المِسْحَاة): (بَال)، و(بَال) بالفارسية، ولو علق ذلك لغة أهل البصرة؛ إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه، إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بلاد النبط وأقصى بلاد العرب. ويسمي أهل الكوفة (الحَوْك): (البَاذَوج)، و(البَاذَوُج) بالفارسية، (الحوك) كلمة عربية، وأهل البصرة إذ التقت أربع طرق يسمّونها: (مُربَّعة)،

ويسمّيها أهل الكوفة: (الجَهَارْسُوك)، و(الجَهَارْسُوك) بالفارسية. ويسمون (البسوق) و(السوقية): (وازَار) بالفارسية ويسمون (المَجْذُوم): (وَيزِي)، بالفارسية))[٣٢].

وقد تهاجر الألفاظ نفسها ثم تعود إلى أوطانها، وهي لا تسلم في هذه الحركة الطويلة من تغيير في المعنى والاستعمال والهيأة[٣٣]. وبيان ذلك أنّ اللّفظة قد تنتقل من العربية إلى الفارسية مثلاً، ثم يندثر استعمالها في العربية، وتكتسب اللفظة صورة تلائم اللغة التي انتقلت إليها، وبعد ذلك كلِّه تعود اللفظة إلى العربية فنظن أنّ لغتنا قد اقترضتها من الفارسية، وهي عربية في الأصل لتقادم العهد.

ومن العوامل المهمة؛ تجاور شعبين؛ إذ ينشأ من تلك المجاورة احتكاك لغتيهما فتؤثر كل منهما بالأخرى تأثيراً كلياً أو جزئياً، كما هو الشأن مع العربية وأخواتها الجزريات والفارسية والتركية واليونانية واللاتينية[٣٤]. وقد تنبّه بعض القدامى على أثر المجاورة؛ فعدّ ابن دريد (الصَّير) الذي يسمى (الصَّحْنَاء) سريانياً مُعرَّباً؛ لأنّ أهل الشام يتكلمون به، وقد دخل في عربية أهل الشام كثير من السريانية كما استعمل عرب العراق أشياء من الفارسية[٣٥]. وذكر الأزهري أنّ:((أهل الشام يسمّون (الخمر): (الرَسَاطُون)، وسائر العرب لا يعرفونه. وأراها رومية دخلت في كلام من جاورها من أهل الشام))[٣٦].

ومن العوامل المهمّة التي أدت إلى الاقتراض الحاجة التي يشعر بها الناطقون باللّغة إلى أن يستعيروا ألفاظاً من لغات أُخر. فربّما دعت الضرورة إلى اقتراض ألفاظ أو مصطلحات يختصّ بها بلد أو إقليم

معيّن من سائر البلدان أو الأقاليم كما اختصّ الفرس مثلاً بأنواع من الألفاظ والمصطلحات الإدارية، واليونان بالألفاظ والمصطلحات الفلسفية والجغرافية، والهنود بالأصباغ والألوان[٣٧].

وقد تنبّه بعضُ المتقدمين على أثر هذا العامل في اللّغة، فقد أحصى الثعالبيّ من هذا القبيل ألفاظاً كثيرة تفرّد بها الفرس من دون العرب فاقترضتها العربيّة من الفارسية[٣٨]. وذكر ابنُ سيده أنّ: ((طير الماء أكثر من مائتي لون زعموا، والعرب لا تعرف أكثرها، وأسماؤها عندنا بالنبطيّة؛ لأنّها في البطائح في بلاد النبط))[٣٩].

وهناك عوامل يتعلّق كلّ واحد منها بطائفة من الألفاظ التي دخلت اللّغة بسببه، وهي على النحو الآتي:

١ - التبادل التجاريّ:

قد تدخلُ بسبب التبادل التجاريّ إلى اللّغة أسماءُ البضائعِ التي يحملها التجار الضاربون في الأرض بين أممٍ مختلفةِ الألسن، متباينةِ المواقع، وحين يستقبل الناس هذه السلع يتقبلونَ معها أسماءها كما جاءت من مناطق ظهورها الأولى، وقد تكون هذه المستحدثات الجديدة ممّا لا عهد للعرب ولا للغتهم بها من قبل[٤٠]. فقد اقتبس العرب من الفرس الكثير ممّا كانوا يحتاجون إليه أو ينقصهم من أمور الحضارة، فأخذوا منهم جميع ما كان يعوزهم في باديتهم أو في مدنهم الكبرى، ممّا لا عهد لهم به، وإذا ألقينا نظرة على الألفاظ الفارسيّة المُعرّبة في الجاهلية وصدر الإسلام نجد أنّ العرب أخذوا من الفرس الكثير من أسماء الأبنية والمآكل والأواني والأشجار والنباتات والأزهار ممّا لا تنبته جزيرة العرب، وكذلك مصطلحات البحر

وأسماء السفن والأسلحة والدروع وألفاظ التجارة والأدوية والورق وأسماء المناصب وآلات الموسيقى[٤١].

٢- العامل السياسي والإداري

قد ينشأ الاقتراض اللغوي نتيجة للصلات السياسية والإدارية بين الأمم، ومن أوضح الأمثلة على ذلك قديماً صلات الفرس بالعرب عن طريق إمارة الحيرة شرقاً، وصلات الرومان بهم عن طريق إمارة غسان غرباً، ثم صلات العرب بهاتين الدولتين وبالهند وغيرها بعد انتشار الفتوحات الإسلامية، التي أدّت إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية واضطرار العرب بسبب ذلك إلى اقتباس ألفاظ أعجمية بعد تعريبها لتسد حاجاتهم في المصطلحات السياسية والإداريّة[٤٢].

وقد وردتْ في اللغة ألفاظ استعارتها اللغة بسبب العامل السياسي والإداري، من ذلك (الدِّيْوَان) هو الدفتر الذي تكتب فيه أسماء الجند وأهل العطاء، وهو فارسيّ مُعرّب[٤٣]، ومِنها (الفَيْج): وهو الرسول الذي يحمل الأخبار من بلد إلى آخر، واللفظة فارسية مُعرّبة[٤٤]. ومنها (الموبذان): وهو للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين[٤٥].

٣- العامل العسكري

ن طولَ الاحتكاك بين الشعوب المُتحاربة ينقل إلى لغة كل شعب منها آثاراً من لغات الشعوب الأخرى، سواء في ذلك لغات الحلفاء ولغات الأعداء[٤٦]. وقد اقترضت العربية ألفاظاً من الأقوام المجاورة بسبب هذا العامل وظهر ذلك جلياً في اللغة من خلال ألفاظ تتصل بالعامل العسكري؛ ومنها: (البياذقة) وهم الرجّالة، واللفظة فارسية مُعرّبة[٤٧].

و(الخنـدق) و(المنجنيـق) و(القـيروان): وهـم معظـم العسـكر والقافلـة والجماعـة[٤٨]. و(المرزبـان): وهـو الفـارس الشـجاع المُقـدم عـلى القـوم دون الملـك، وهـو معـرّب[٤٩].

٤- العامل الدينيّ

كان للعامـل الدينـيّ أثـرٌ واضـحٌ في اقـتراض العربيّـة مـن الألفـاظ المتعلقـة بالمصطلحـات والأفـكار الدينيّـة. ويبـدو أنّ تأثـير هـذا العامـل لم يتعـدَ اللغـات الجزريّـة؛ إذ لم تقـترض العربيـة ألفاظـاً تتصـل بالعامـل الدينـيّ مـن غـير السريانيـة والعبريّـة؛ فالسريانيّـة لغـة المسـيحين والعبريّـة لغـة اليهـود، وقـد عكسـت الأحاديـث والآثـار تأثـير هاتـين اللغتـين في العربيـة عـن طريـق العامـل الدينـيّ. فممـا دخـل إلى العربيّـة مـن السريانيّـة بسـبب هـذا العامـل: (الأبِيـل): وهـو كبـير النصـارى، و(الأُسْـقُف) و(الراهـب) و(القـس)[٥٠]. ومنهـا أيضـاً (البَاعُـوث): وهـو استسـقاء النصـارى و(السّـعَانِين): وهـو عيدهـم الأول قبـل فصحهـم بأسـبوع. و(القَليّـة): وهـي شـبه الصومعـة تكـون للراهـب، فقـد نسـبت كتـب غريـب الحديـث هـذه الألفـاظ إلى السريانيـة[٥١].

ولم يكـن بمقدورنـا أن نعـدَّ هـذه الألفـاظ عربيّـة لاتصالهـا بشـعائر الديـن المسـيحيّ الـذي كان يعتنقـه السريـان. وممّـا دخـل إلى العربيّـة مـن العبريّـة بسـبب العامـل نفسـه: (الفُهْـر): وهـو موقـع مـدارس اليهـود، [٥٢].

٥- العامل الثقافيّ

تمثّـل اللّغـة عصـب الثقافـة ووعاءهـا ورسـولها حيـث قَصَـدت، وقـد كان للعامـل الثقـافيّ تأثـير كبـير في العربيّـة، فقـد انتقـل إليهـا بسـببه كثـير مـن مفـردات اللّغـة الفارسـيّة واليونانيّـة والحبشـيّة وغيرهـا[٥٣]. ومـن مظاهـر هـذا

العامل انتقال طائفة من ألفاظ الفلسفة والحكمة من اليونانيّة إلى العربيّة[٥٤].

طرائق التعريب

حين تقترض العربيّةُ لفظاً أعجمياً فإنّها تغيّر فيه ما يجعله مجانساً لألفاظها جارياً على قواعدها، منسجماً مع نظامها، ويكون ذلك بطرائق متعددة، منها: الإبدال، أو الحذف، أو الزيادة، أو النقص، أو تحريك الساكن، أو إسكان المتحرك، وما إلى ذلك من التغييرات التي تصيب اللّفظة عند التعريب. وقد تعرّب الكلمة بتغيير بنائها، فضلاً عن أصواتها؛ إلّا أنّ التغيير في أصوات الكلمة هو الأكثر وقوعاً عند التعريب. وطرائق التعريب يمكن أنْ نجملها على النحو الآتي:

١-التعريب في أصوات الكلمة:

تضمنت كتب اللغة إشارات إلى جملة مِن الطرائق التي سلكتها العربية في تعريب الألفاظ. وقد كان للتعريب الصوتي النصيب الأوفر في هذه الكتب، والذي يتمثل بإبدال الحروف بعضها ببعض، مما كانت قريبة منها مخرجاً. وسأورد أمثلةً لهذا الضرب من التعريب مُرتّبةً ترتيباً صوتياً مُبتدئاً بحروفِ الحلق ومنتهياً بحروف الشفة متابعا في ذلك منهج للقدامى.

أ-إبدال القاف والجيم من الهاء الرسمية

الأكثر في الكلمات الفارسية أنْ تكون ساكنة الأواخر، وقد ترد متحركة، فيعمد الفرس إلى رسم الهاء في آخر الكلمة للدلالة على أنّ ما قبلها متحرك لا ساكن، وتسمّى عندهم بالهاء الرسمية؛ لأنها تُرسم ولا ينطق بها[٥٥].

وقد تنبه سيبويه إلى أنّ هذه الهاء لا قيمةَ لها في النطق، فلا يبدل منها بل من حرف آخر دلت عليه الهاء، قال:((ويبدلون مكان آخر الحرف الذي

لا يثبت في كلامهم، إذا وصلوا الجيم، وذلك نحو: (كَوْسة)، و(مُوزة)؛ لأنّ هذه الحروف تبدل وتحذف في كلام الفرس همزة مرة وياء مرة أخرى. فلمّا كان هذا الآخر لا يشبه أواخر كلامهم صار بمنزلة حرف ليس من حروفهم. وأبدلوا الجيم، لأنّ الجيم قريبة من الياء، وهي من حروف البدل. والهاء قد تشبه الياء، ولأنّ الياء أيضاً قد تقع أخره، فلما كان كذلك أبدلوها منها كما أبدلوها من الكاف وجعلوا الجيم أولى؛ لأنّها قد أُبدلت من الحرف الأعجمي الذي بين الكاف والجيم، فكانوا عليها أمضى، وربّما أدخلت القاف عليها كما أدخلت عليها في الأول عليه في الأول، فأشرك بينها، وقال بعضهم: (كَوْسق)، وقالوا :(كَرْيق)، وقالوا: (قَرْيق)))[٥٦].

وكلام القدامى - - يُشعر بأنّ الكثير من الكلمات المختومة بالقاف أو الجيم قد عُرّبت بإبدال أحدِ هذين الحرفين من الهاء، فمّما عُرّب بإبدال القاف من الهاء: (السَّرق)؛ فإنّ أصله بالفارسية (سَرَه) وهو الجيِّد، فعُرّب، فقيل: (سَرَق)، فجعلت القاف مكان الهاء، ومثله في كلامهم كثير، ومنه قولهم للخروف (بَرَق)، وإنّما هو بالفارسية (بَرَه)، وكذلك (يَلْمَق)، إنّما هو بالفارسية (يَلْمَه)؛ وهو القباء، و(الإسْتَبْرَق) مثله، إنّما هو (إسْتَبْرَه)؛ وهو الغليظ من الديباج[٥٧]. ومنه (قُرْطُق)، أي: قباء، وهو تعريب (كُرْته)، كما يقال: (إبْرِيق) في تعريب (إبْرَاه)، وقد تضم طاؤه.

وإبدال القاف من الهاء في الأسماء المُعرّبة كثيرٌ، من ذلك: (الزئبق)، و(البَرَق)، و(الباشق) و(المُسْتُق)[٥٨].

وممّا عُرّب بإبدال الجيم من الهاء (المُوْزَج)، وهو تعريب (مُوْزَه)؛ وهو الخُف، و(طَازَج) تعريب (تَازَه)[٥٩]. و(البُخْتج)؛ وهو((العصير المطبوخ،

وأصلـه بالفارسـية (نَبَخَتَـه)، أي: عصـير مطبـوخ))[٦٠].

ب-بدال الكاف المجهورة من الجيم والقاف

وصفـت الـكاف المجهـورة بأنّهـا صـوتٌ بـين الجيـم والـكاف، أي: مـا يقابـل صـوت (G) مـن كلمـة(going)، باللّغـة الانكليزيّـة[٦١]، ويحصـل التعريـب بإبـدال الـكاف المجهـورة جيـماً كـما في (الجـزاف)؛ فإنّـه مُعـرّب مـن (كَـزاف) [٦٢]. وقـد تُبـدّل قافاً كذلـك كـما في (كَرْيَـج)، وبعضهـم يقـول: (قَرْيَـق)، وكذلـك يقولـون: (كَيْلَـج)، و(كَيْلَـق)، و(قَيْلَـق)[٦٣].

ومـن الألفـاظ التـي عرُبِّـت بإبـدال الـكاف إلى المجهـورة جيـماً: (الزَّرْجُـون)، وهـو الخمـر، وأصلـه بالفارسـية: (زَرْكَـون)[٦٤]، و(الجَـوْرَب)، وأصلـه (كَـوْرَب)، و(البَنْـج) وأصلـه (بَنْـك)، و(السِّرْجِـيْن) وأصلـه (سَرْكِـيْن)، وقـد يعـرّب بالقـاف فيقـال: (سَرْقِـيْن)[٦٥].

ج-إبدال الشين سيناً

مـن طرائـف تعريـب الاسـم الأعجمـيّ إبـدال الشـين سـيناً[٦٦]. ومـن أمثلـة هـذا الإبـدال (الدّسْـت): وهـي بالفارسـيّة (دَشْـت)، وتعنـي: الصحـراء. والسُّـبَيِّج؛ ثـوب يعمـل مـن الصـوف يكـون أسـود، وهـو تصغـير (سَـبِيْج)، وأصلـه بالفارسـية (شَـبي).

ومـن أمثلتـه أيضًـا: (أوراشَـلّيم)؛ وهـو بيـت المقـدس بالعبرانيّـة، ويعـرب بالسـين فيقـال: (أوْرَاسَـلَم)[٦٧]، وسـاغ هـذا الإبـدال لتقـارب الصوتـين في المخـرج، ولاتفاقهـما في الهمـس والرخـاوة[٦٨].

وهـذا الإبـدال ليس بـلازم لوجـود الصوتـين في العربيـة عـلى حـد سـواء[٦٩]. ولا يبعـد أن تكـون الكلـمات التـي عُرِّبـت بإبـدال السـين شـيناً قـد دخلـت إلى

العربيـة عـن طريـق إحـدى أخواتهـا الجزريّـات؛ لأنّ الشـين في العبريـة والنبطيـة والسريانيـة قـد تبـدل سـيناً في العربيـة[٧٠].

د-إبدال الزاي لاماً

تُبـدّل الـلام مـن الـزاي كـما في (قَفْشِـلَيْل) وهـي المغرفـة، وأصلهـا (كَفْجَـلَاز)، وربـما أبدلـت الـزاي لامـاً لتماثـل الـلام التـي في وسـط الكلمـة[٧١].

هـ- إبدال التاء طاءً

قـد تُعـرَّب الكلمـة بإبـدال التـاء طـاءً، مـن ذلـك: (طَـازَج)، تعريب:(تَـازَه) بالفارسـية، ومنـه (البَرْبَـط)؛ وهـو العـود الـذي يـضرب بـه للغنـاء، الـذي هـو تعريـب (بَرْبَـت)[٧٢]، وسـاغ هـذا الإبـدال للاتّحـاد الصـوتي في المخـرج، وللاتحـاد في صفتـي الشـدة والهمـس عـلى رأي المعاصريـن[٧٣].

و- إبدال الذال دالاً

تُبـدَّل الـدال مـن الـذال في الكثـير مـن المُعرّبـات الفارسـيّة، مـن ذلـك (زُمَّـرد) وأصلهـا (زُمـرُّذ)[٧٤]، وقـد يحصـل العكـس؛ بـأن تبـدل الـدال ذالاً عنـد التعريـب كـما في نَمُـوذَج؛ إذ الأصـل فيهـا (نَمُـودَه)[٧٥]، وعـد المغـربي الصـورة الأولى قاعـدة، فقـال:((مـن عـادة العـرب إذا عرّبـوا كلمـة فيهـا دال فارسـية أن يقلبـوا الـدال ذالاً))[٧٦]. وعليـه فـإن وقـوع علـة هـذا الإبـدال تقـارب الصوتـين في المخـرج واتحادهمـا في صفـة الجهـر، إلّا أنّ الـذال صـوت رخـو والـدال شـديد[٧٧]، ولعلـه أُبـدل مـن الـذال؛ لأنّـه أظهـر بالنطـق وأوضـح.

٢-الأبنيـة:

لا يقتـصر التعريـب عـلى التغيـيرات الصوتيـة التـي تصيـب الألفـاظ المقترضـة عنـد تعريبهـا، بـل يتعـداه إلى التغيـير في أبنيتهـا، وهـذا التغيـير في الأبنيـة قـد تنشـأ

عنه موافقة اللفظة الواحدة من أبنية العربية، وقد لا ينشأ عنه ذلك[٧٨]؛ ولأنَّ المراد من تغيير الأبنية تحقيق الانسجام الصوتي في اللغة المُعرّبة، وهذا الانسجام لا يقتضي أن تكون اللفظة جارية على أحد الابنية العربية إذا كان بناؤها مستساغاً لأذواق الناطقين بها[٧٩]. وقد تضمنت كتب غريب الحديث إشارات إلى تغيّر في بناء الكلمة لتكونَ موافقة لكلام العرب، فقد حكى ابن الجوزي أنّ (الشِّطْرَنْج) بفتح الشين و((كُسِرت الشين فيه ليكون نظير الأوزان العربيّة))[٨٠].

وقد يحصل التعريب بزيادة حروف على بنية الكلمة لم تكن موجودة قبل التعريب، كما في (الدَّرَهْرَهَه): وهي السكين((المِعْوَجَّة الرأس التي تسميها العوام المنجل، وأصلها كلام الفرس (دَر)، فعرّبته العرب فزادت عليه حروفاً من جنسها، وهم يفعلون ذلك، كما قالوا للقواس (مُقَمْجِر)، وللجمل (بَرَق) و(بَذَج، وللغليظ من الديباج إسْتَبْرَق))[٨١].

وقد يحدث عكس ذلك بأن ينقص بعض حروف الكلمة لتصبح موافقة لأحد الأوزان العربية. من ذلك (البَهْرَج) فإنّ أصله بالفارسية (نَبَهْرَه)[٨٢]. وقد يكون البناء نفسه دخيلاً على العربية، كما في (البُوْرِيّ)، قال المدينيّ: ((وفوْعِيل معدوم من كلام العرب))[٨٣].

ومن الألفاظ التي جاءت على أبنية غريبة لم تألفها العربية (الأُرْجُوَان) و(القَيْرَوَان) و(الإبْرِيسَم) و(القَهْرَمَان)[٨٤].

المبحث الثاني: التعريب في العصر الحديث

حملَ التعريبُ في عصرنا دلالة أخرى، فهو يدلُّ على تعريب العلوم، أي: نقلها إلى العربية بعد أن كانت تدرس بلغات أجنبية، ويكون ذلك

بترجمة الكثير من مصطلحاتها ودراستها بالعربية. وليست دراستنا معنية بهذا الضرب من التعريب. ولكن جهدنا سينصب على التعريب الذي يراد به اقتراض الألفاظ، ولا سيما إنّ لتعريب العلوم مصادره التي تكفلت بشرحه وتوضيح أسبابه ونتائجه[٨٥].

وقد كان للمجامع العربية والهيآت ذات الصلة الأثر البالغ في تعريب العلوم وترجمتها إلى العربية.

اختلف المعاصرون كأسلافهم في تحديد مفهوم المُعرّب؛ فمنهم من لم يفرق بينه وبين الدخيل فرأى هؤلاء أنّ الكلمة المُعرَّبة هي الكلمة التي اقترضتها العربية من لغة أخرى سواء أوقع فيها تغيير أم لم يقع[٨٦]. ومنهم من أعطى التعريب مدلولاً زمانياً، فقرّر أنّ((المُعرّب هو لفظ استعارة العرب الخُلّص في عصر الاحتجاج باللغة من أمّة أخرى واستعملوه في كلامهم))[٨٧].

واشترطت طائفة حصول التغيير عند التعريب، فرأى هؤلاء أنَّ اللفظ المعرّب: هو الذي طوَّعته العرب بألسنتها، وغيّرت فيه بالزيادة أو النقصان والإبدال في الأصوات ليجري بحسب أبنيتها، ويوافق أصواتها، حتى يغدو على صورة شبيهة بصورة الألفاظ العربية[٨٨].

وهو ما أميل إليه؛ لأنّ الدقة العلمية تقتضي أنْ يكونَ لكل صورة من صور الاقتراض مصطلحها الدال عليها، فالمُعرّب يُطلق على الألفاظ التي أصابها تغيير عند دخولها إلى العربية، والدخيل يطلق على الألفاظ التي انتقلت إلى لغتنا بالصورة التي كانت عليها في اللغة التي استعيرت منها. وفي كلام القدامى أنفسهم ما يشير إلى أنّهم كانوا يعبّرون عن التغيير الذي

يصيب الألفاظ المقترضة بالتعريب كما مر بنا.

استمرّت اللغة العربية في تفاعلها مع سائر اللغات فاقترضت منها الألفاظ التي تصاحب مسمياتها، فحينَ تدخل إلى مجتمعنا العربي أشياءَ تجلب معها مسمياتها كما كان يحصل سابقًا فنحن نرى أنَّ كثيرًا من البضائع جلبت معها أسماءها بشكل كبير وأمثلة ذلك لا تحصى وماثلة للعيان عند كل متأمّل،

إنَّ الأسباب التي أدّت إلى التعريب في تراثنا اللغوي لا تكاد تختلف في وقتنا الحاضر عمّا كانت عليه في السابق، فالأمور السياسية والتجارية والاجتماعية والدينية بقيت أهم العوامل التي أدت إلى حصول الاقتراض اللغوي.

وقد توسّع المحدثون في تتبّع الأسباب التي أدت إلى التعريب على نحو ما مرّ في القسم السابق من البحث.

ولكنهم لم يُعنوا كثيرًا بالتغيّرات التي أصابت الألفاظ التي تسربت إلى العربية من سائر اللغات على نحو ما صنع القدامى ولم يرصدوا تلك الألفاظ في حين خصص القدامى كتبًا عنيت بالألفاظ المعربة بينوا فيها ما أصابها من تغيير ذاكرين اللغة التي عُرّبت عنها تحرّيا منهم للدقة ولفصل اللفظ العربي عن اللفظ الدخيل ولم يلقَ هذا الأمر العناية الكافية من المحدثين الذين انصبت جهودهم على البحث النظري في ظاهرة التعريب من دون أن يُعنوا عناية كافية بالألفاظ المعربة.

وسأعتمد في ما تبقّى من البحث على ملاحظاتي الشخصية التي رصدتها في واقعنا اللغوي المعاصر.

لما دبّبَ الضعف في مجتمعاتنا العربية انعكس ذلك سلبًا على واقعنا اللغوي ليس لخلل في العربية لا سامح الله ولكن لقلة الاتمام بهذه اللغة الشريفة، فمعلوم أنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية تقوى بقوّة المجتمع وتضعف بضعفه.

فبدأ العربي يأنسون باللفظ الأعجمي دون اللفظ العربي وأمثلة ذلك لا تُحصى في واقعنا المعاصر.

فها نحن ذا نطلق أسماءً أجنبية على أبنائنا وبضائعنا ومحالّنا التجارية وصحفنا وقنواتنا الفضائية والأكثر من ذلك أنَّ بعضنا يكتبون أسماءهم العربية بحروف أجنبية متأثّرين بعقدة الخواجة متجاهلين الجهود التي تقوم بها مجامعنا اللغوية للحفاظ على هذه اللغة وترسيخ الاستعمال العربي بدل الاستعمال الأعجمي، من دون أن نسأل أنفسنا، هل فعل الغرب شيءً من ذلك فاستعاروا ألفاظًا عربية بدلًا من لغاتهم؟ فضلًا عن التخلّي عن العربية عند تدريس العلوم الصرفة متناسين أنَّ لغتنا كانت في يوم من الأيّام مستوعبة لكل هذه العلوم.

ونحتاج في هذا المقام إلى جملة من الإصلاحات التي يمكن أن تسهم في إعادة لغتنا إلى سابق عهدها لتعود كما كانت لغة العلم والتخاطب بين الناطقين بها وغيرهم.

ومن تلك الإصلاحات: إعادة النظر في مناهجنا الدراسية وتنقيتها من التعقيد الذي نفّر الطلبة من درس اللغة العربية وبذلك نجعل هذه المادّة أكثر يسرًا ومواكبةً للعصر.

ومنها: تفعيل دور المصحح اللغوي في مأسسات الدولة ودوائرها الرسمية بما ينعكس إيجابًا على الواقع اللغوي.

إنَّ أكثر محاولات الإصلاح كانت تنصبّ على الأمور اللغويّة وكان الأولى تدارك الضعف الذي أصاب دولنا ومجتمعاتنا، ذلك أنَّ اللغة تقوى بقوّة ناطقيها وتضعف بضعفهم، فلو كان لنا بضائع مصدّرة لحملت أسماءها إلى الدول التي تستقبل تلك البضائع، ولو كان لدينا قدرة على بعث المصطلحات العلمية الموجودة في تراثنا ونشرها إلى سائر المجتمعات لأسهم ذلك في استعادة لغتناسيادتها على اللغات وقل مثل ذلك على سائر أمورنا الاجتماعية والسياسية والعلمية ، إنَّ النهوض بواقعنا اللغوي يقتضي أن يسهم كل أفراد المجتمع كلٌّ من موقعه باستعمال اللفظ العربي بدل اللفظ الأجنبي، وليبدأ المختصّون بأنفسهم فيبحثوا عن اللفظ العربي بدل اللفظ الأجنبي وينقلوه إلى عامّة الناس ليستعملوه، وينبغي على مستعملي اللغة أن يؤثروا اللفظ العربي على اللفظ الأجنبي في الاستعمال فيسمّوا أبناءهم ومحالّهم وبضائعهم وكل ما يتصل بأمور حياتهم بأسماء عربية حتى يشيع اللفظ العربي على اللفظ الأجنبي لأن اللغة إنما تحيى بالاستعمال وتخمل أو تموت بهجر ألفاظها وهو ما تقوم به سائر شعوب الأرض فأنت ترى مثلًا الألماني والإنجليزي والإيراني وغيرهم يقدّسون لغاتهم ويحافظون عليها مع أنَّ العربية أولى بذلك كله، فهي لغة الدين الحنيف وتشتمل على خصائص لا تشتمل عليها أي لغة أخرى تجعلها قادرة على استيعاب كل ما يحتاج إليه المجتمع من العلوم والفنون فضلًا عن سائر متطلبات الحياة الأخرى ولا ينبغي أن تكون المراكز الدّينيّة من مساجد ومدارس بعيدة عن الإسهام بنشر الوعي اللغوي، لأنَّ العناية بهذه اللغة الشريفة ليس واجبًا قوميًّا فحسب، بل هو واجبٌ دينيٌّ لما لهذه اللغة المباركة من صلة بديننا الحنيف.

وقد لمست أنَّ العتبات المقدسة تُعنى عناية فائقة بالقرآن الكريم وذلك شيء محمود بلا شك، ونأمل أن تضطلع هذه العتبات المباركة بنشر الوعي اللغوي إلى جانب عنايتها بالقرآن الكريم لما لها من ثقل في مجتمعاتنا الإسلامية.

ونرجو أن يكون يوم اللغة العربية منطلقًا حقيقيًّا لنشر الوعي اللغويّ بين أبناء المجتمعات العربية وتعريف العالم أجمع أنَّ هذه اللغة الشريفة عائدة بقوّة لتستعيد مكانتها بين لغات الأرض بما أوتيت من خصائص تتجلّى بوفرة مفرداتها وقدرتها على التعبير عن كل ما يروم المتكلّم والمنشئ التعبير عنه على اختلاف العلوم والمضامين الفكرية العميقة.

بارك الله بهذه اللغة الشريفة وبالقائمين على حفظها وإعطائها ما تستحقّ من الرعاية والاهتمام.

الخاتمة

بعد أن ألقى البحث عصا ترحاله سأجمل في ما يأتي أهمّ النتائج التي تمخضّت عنه:

١- يعدّ التعريب من الظواهر المهمة التي أوقفتنا على الألفاظ التي وفدت إلى العربية وما طرأ عليها من تغيير.

٢-يحدث التعريب لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية، وتنضوي كل مجموعة من الألفاظ تحت واحد من هذه العوامل.

٣-سلكت العربية سبلًا متعدّدة تتجلّى إبدال أصوات الكلمة وتغيير بنيتها.

٤- استمرّ التعريب في العصر الحديث، ولكنه أخذ منحى سلبيًّ في كثرة الألفاظ الداخلة إلى العربية وتقاعس أبناء هذه اللغة عن حماية لغتهم من الألفاظ التي بدأت تتسرب إلى اللغة من دون ضوابط تحدّ من تدفق هذه الألفاظ.

٥-كشف البحث عن ضرورة قيام أبناء هذه الأمّة بحماية لغتهم عن طريق تغليب الاستعمال العربي على الاستعمال الأجنبي ونشر الوعي اللغوي بين أفراد المجتمعات العربية.

٦- بيّن البحث أنَّ النهوض بالواقع اللغوي يستدعي نهوضًا شاملًا لأفراد المجتمع على كل الصُعُد العلمية والاقتصادية والاجتماعية، فإذا قوي المجتمع؛ قويت لغته وشاعت بين سكان المعمورة.

الهوامش

(١) ينظر: علم اللغة (علي): ٢٢٩.

(٢) ينظر: علم اللغة (حاتم): ١١٨.

(٣) ينظر: علم اللغة (علي): ٢٣٣.

(٤) ينظر علم اللغة (علي): ٢٣٠-٢٤٧. الاقتراض اللغوي في العربية، العصر الجاهلي وصدر الإسلام، رسالة ماجستير: ٩٦-١٠٤.

(٥) المدخل إلى علم اللغة: ١٧٧.

(٦) ينظر: غرائب اللغة العربية: ١١٩-١٦٩. فقه اللغة وخصائص العربية: ٢٩٤. فقه اللغة العربية: ٣٢١.

(٧) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية: ٢٩٦.

(٨) ينظر: فقه اللغة (علي): ٢٠١.

(٩) المعرب: ٣.

(١٠) المزهر: ١/ ٢٦٩.

(١١) شفاء الغليل: ٢٣.

(١٢) الصحاح: ١/ ١٧٩ (عرب).

(١٣) ينظر: درة الغواص في أوهام الخواص: ١٣١.

(١٤) الكشاف: ٤/ ٢٨٤.

(١٥) في التعريب: ٣٠.

(١٦) ينظر: العين: ٥/ ١٥٥.

(١٧) ينظر: أدب الكاتب: ٣٨٤.

(١٨) ينظر: العين: ٥/ ٢٤٣-٢٨٨.

(١٩) م.ن.: ٥/ ٢٥٤-٢٦٣.

(٢٠) ينظر: تهذيب اللغة: ٩/ ١٣١.

(٢١) يم.ن.: ٩/ ٤١٦، ١٠/ ٥٦٤.

(٢٢) المعرب: ٥١.

(٢٣) ينظر: المعرب (ببر): ١١٠. (الجرم والصود): ١٤٤.

(٢٤) ينظر: المزهر: ١/ ٢٦٩.

(٢٥) ينظر: حركة التعريب في العراق: ٢٦.

(٢٦) ينظر: لسان العرب: ٤/ ٤٨٤. تاج العروس: ٢/ ٥٤٣. حركة التعريب في العراق: ٢٩-٣٠.

(٢٧) ينظر: جمهرة اللغة: ١/ ٢٤٩، ٢/ ٣٤٢. مقاييس اللغة: ٢/ ١٤٤. المعرّب: ١٦٨.

(٢٨) شفاء الغليل: ٢٢.

(٢٩) ينظر: حركة التعريب في العراق: ٢٩-٣٠. التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر: ٢٦٢.

(٣٠) ينظر: نشوء العربية: ٧٩. فقه اللغة وخصائص العربية: ٢٩٢.

(٣١) ينظر: من أسرار اللغة: ١٠٩-١١٧. علم اللغة (علي): ٢٣٠.

(٣٢) البيان والتبيين: ١/ ١٩-٢٠.

(٣٣) ينظر: فقه اللغة المقارن: ١٦٦.

(٣٤) ينظر: التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر: ٣٤.

(٣٥) جمهرة اللغة: ٢/ ٣٦١.

(٣٦) تهذيب اللغة: ١٢/ ٣٢٦.

(٣٧) ينظر: من أسرار اللغة: ١١٧-١١٨. الاقتراض اللغوي في العربية/ العصر الجاهلي وصدر الإسلام، رسالة ماجستير:٣٨.

(٣٨) ينظر: لباب الآداب: ١/ ١٤٥.

(٣٩) المخصص: ٨/ ١٥٣.

(٤٠) ينظر: فقه اللغة (علي): ١٩٩. فقه اللغة وخصائص العربية: ٢٩٣.

(٤١) ينظر: المفصل في الألفاظ الفارسية المعرّبة: ١٨.

(٤٢) ينظر: التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر: ٣٥.

(٤٣) ينظر: النهاية: ٢/ ١٥٠.

(٤٤) م.ن.: ٣/ ٤٨٣.

(٤٥) م.ن.: ٤/ ٣٦٩.

(٤٦) ينظر: علم اللغة (علي): ٢٤٧.

(٤٧) ينظر: النهاية: ١/ ١٧١.

(٤٨) ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد: ٤/ ٤٢٢.

(٤٩) ينظر: النهاية: ٤/ ٣١٨.

(٥٠) ينظر: غريب الحديث للخطابي: ١/ ٤٩٩.

(٥١) ينظر: غريب الحديث للخطابي: ٢/ ٧٤. المجموع المغيث: ١/ ١٧٢، ٢/ ٩٢، ٢/ ٧٤٩. النهاية: ١/ ١٣٩، ٢/ ٣٦٩، ٤/ ١٠٥.

(٥٢) ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد: ٣/ ٤٨١-٤٨٢. النهاية: ٣/ ٤٨٢.

(٥٣) ينظر: التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر: ٤٠.

(٥٤) ينظر: الاقتراض اللغوي في العربية: ٣٩.

(٥٥) ينظر: التقريب لأصول التعريب: ١٢.

(٥٦) الكتاب: ٤/ ٣٠٥-٣٠٦.

(٥٧) ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد: ٤/ ٢٤٢. غريب الحديث لابن قتيبة: ٢/ ٣٣٩، ٣٤٠.

(٥٨) ينظر: المجموع المغيث: ٢/ ٦٨٩.

(٥٩) ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة: ٢/ ٣٤٠، ٦٥٠-٦٥١.

(٦٠) النهاية: ١/ ١٠١.

(٦١) ينظر: الكتاب: ٤/ ٣٠٥. من أسرار اللغة: ١٢٨.

(٦٢) ينظر: التقريب لأصول التعريب: ٩.

(٦٣) ينظر: المعرّب: ٥٤-٥٥.

(٦٤) ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة: ٢/ ٣٤٠.

(٦٥) ينظر: مجمع البحرين: ٢/ ٢٣، ٢٧٩، ٦/ ٢٦٤.

(٦٦) ينظر: الكتاب: ٤/ ٣٠٦. النكت: ٢/ ١١٨٠.

(٦٧) ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة: ٢/ ٣٤١. الغريبين (المخطوط): ٣١٣. المجموع المغيث: ١/ ١٠٨.

(٦٨) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٣-٤٣٤.

(٦٩) ينظر: من أسرار اللغة: ١٢٨.

(٧٠) ينظر: المزهر: ١/ ٢٧٥.

(٧١) ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة: ٢/ ٣٤٠. النكت: ٢/ ١١٨٠.

(٧٢) م.ن.: ٢/ ٦٥١.

(٧٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ٣, ٤٣٣ ومرد الخلاف بين القدامى والمعاصرين في جهر الطاء وهمسه راجع إلى اختلاف مفهوم الجهر والهمس بين الفريقين. ينظر: مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: ٧٥.

(٧٤) ينظر: مجمع البحرين: ٣/ ١٨١.
(٧٥) م.ن.: ٢/ ٣٣٣.
(٧٦) الاشتقاق والتعريب: ١٣٢.
(٧٧) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٣-٤٣٤.
(٧٨) ينظر: الكتاب: ٤/ ٣٠٣. ارتشاف الضرَّب: ١/ ٧٢.
(٧٩) ينظر: التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر: ٤٠٣.
(٨٠) مجمع البحرين: ٢/ ٣١٣.
(٨١) الغريبين (المخطوط): ٢٣١.
(٨٢) ينظر: النهاية: ١/ ١٦٦.
(٨٣) المجموع المغيث: ١/ ١٩٨.
(٨٤) ينظر: الفائق: ٢/ ٤٥. المجموع المغيث: ٢/ ٧٧١. مجمع البحرين: ٦/ ١٧، ٦/ ١٥٠.
(٨٥) ينظر: التعريب ومستقبل اللغة العربية، وتعريب التعليم الجامعي والعالي، ودور التعريب في تطور اللغة العربية في تونس، والتعريب وتنسيقه في الوطن العربي.
(٨٦) ينظر: التقريب لأصول التعريب: ٣. الألفاظ اللغوية: ٦٥.
(٨٧) كلام العرب: ٧٩.
(٨٨) ينظر: من أسرار اللغة: ١٢٥. فصول في فقه اللغة العربية: ٣٥٩. فقه اللغة العربية: ٣١٣.

المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم**
* أدب الكاتب: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٦٣م.
* الاشتقاق والتعريب، عبد القادر المغربي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٤٧م.
* البيان والتبيين: الجاحظ، عمرو بن بحر، (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، مطبعة المدني، ١٩٨٥م.
* التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر: د. عبد المنعم محمد الحسن الكاروري، الطبعة الأولى، مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٨٦م.
* التعريب وتنسيقه في الوطن العربي: د. محمد المنجي الصيادي، الطبعة الخامسة ، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣م.
* التعريب ومستقبل اللغة العربية: عبد العزيز بن عبد الله، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٥م.
* التقريب لأصول التعريب: الأستاذ الشيخ طاهر بن العلامة صالح الجزائري، طبع في مصر بالمطبعة السلفية.
* تهذيب اللغة: الأزهري، محمد بن أحمد، (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: مجموعة من الأساتذة الأفاضل، القاهرة، ١٩٦٤-١٩٦٧م.
* جمهرة اللغة: ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن، (ت: ٣٢١هـ)، دار صادر، مصورة عن طبعة حيدر آباد، ١٣٥١هـ.
* حركة التعريب في العراق: د. احمد مطلوب، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٣م.
* دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، الطبعة العاشرة، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م.
* درة الغواص في أوهام الخواص: الحريري، أبو محمد القاسم بن علي، (ت: ٥١٦هـ)، طبعة مصورة عن طبعة لايبزك، ١٨٧١م.
* دور التعريب في تطوير اللغة العربية في تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
* شفاء الغليل فيما وقع في كلام العرب من الدخيل: الخفاجي، شهاب الدين أحمد المصري، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، مكتبة الحرم الحسيني التجاري الكبرى، القاهرة، ١٩٥٢م.
* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت: ٣٩٣هـ)، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
* العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت: ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ١٩٨٠-١٩٨٥م.
* غرائب اللغة العربية: روفائيل

نخلة اليسوعي، الطبعة الثانية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٠م.
* غريب الحديث: أبي عبيد القاسم بن سلام، (ت: ٢٢٤هـ)، حيدر آباد ، الهند، ١٩٦٤-١٩٦٧م.
* غريب الحديث: ابن قتيبة، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م.
* الفائق في غريب الحديث واللغة: الزمخشري، محمود بن عمر، (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، ١٩٧١م.
* فقه اللغة: د. علي عبد الواحد وافي، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٧٣م.
* -فقه اللغة العربية: د. كاصد ياسر الزيدي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٧م.
* فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك، الطبعة السابعة، ١٩٨١م.
* فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، (ت: ٤٢٩هـ)، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
* في التعريب: أحمد بن سليمان كمال باشا زاده، (ت: ٩٤٠هـ)، تحقيق ودراسة: د. أحمد خطاب العمر، جامعة الموصل- كلية الآداب، مركز البحوث الحضارية والإدارية، ١٩٨٣م.
* الكتاب: سيبويه، عمرو بن عثمان، (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، ١٩٨٣م.
* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
* لباب الآداب: الثعالبي، تحقيق: د. قحطان رشيد صالح، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.
* -مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، دار الثقافة، النجف، ١٩٦١م.
* المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث: المديني، أبو موسى محمد بن أبي بكر، (ت: ٥٨١هـ)، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، الطبعة الأولى، دار المدينة، المدينة المنورة، ١٩٨٦م.
* المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد جاد المولى ومحمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.
* المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: الجواليقي، ابو منصور

موهوب بن أحمد، (ت: ٥٤٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩م.
* من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م.
* النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، عيسى الحلبي، مصر، ١٩٦٣-١٩٦٥م.

الفَصاحَةُ في لُغَةِ الإِعلامِ نافِذةٌ عَلى التَّحْجيمِ والتَّغييب

م.م. أسعد عقيل المحنا

المديرية العامة للتربية في محافظة بابل

ملخص البحث

يَتَناوَلُ هَذَا الْبَحْثُ ظَاهِرَةَ تَغْيِيبِ الْفَصَاحَةِ فِي لُغَةِ الْإِعْلَامِ الْعَرَبِيِّ، بِوَصْفِهَا أَحَدَ أَبْرَزِ مَظَاهِرِ الِانْزِيَاحِ عَنِ الْهُوِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ الْأَصِيلِ. يَنْطَلِقُ الْبَاحِثُ مِنْ فَرْضِيَّةٍ مُفَادُهَا أَنَّ الْإِعْلَامَ، بِاعْتِبَارِهِ الْمِنْبَرَ الرَّسْمِيَّ الْأَوْسَعَ انْتِشَارًا وَتَأْثِيرًا، قَدْ أَصْبَحَ سَاحَةً لِتَحْجِيمِ الْفُصْحَى عَمْدًا أَوْ جَهْلًا، بِصُورَةٍ تُهَدِّدُ بِتَآكُلِ مَكَانَتِهَا فِي الْوَعْيِ الْجَمْعِيِّ الْعَرَبِيِّ. تَمَّ تَوْزِيعُ الدِّرَاسَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَحَاوِرَ أَسَاسِيَّةٍ:

١- قَمْعُ الْفَصَاحَةِ فِي الْقَنَوَاتِ الْإِخْبَارِيَّةِ: يَسْتَعْرِضُ الْبَاحِثُ شَوَاهِدَ دَقِيقَةً مِنْ قَنَوَاتٍ وَاسِعَةِ الِانْتِشَارِ، مِثْلَ «الْعَرَبِيَّةِ» وَ«سكاي نيوز عَرَبِيَّة»، حَيْثُ رُصِدَ أَدَاءٌ لُغَوِيٌّ يُخِلُّ بِالْفَصَاحَةِ مِنْ خِلَالِ تَسْكِينِ أَوَاخِرِ الْكَلِمَاتِ، وَمَزْجِ الْكَلَامِ الْعَامِيِّ بِالْفَصِيحِ، وَالتَهَاوُنِ فِي الضَّبْطِ النَّحْوِيِّ وَالصَّرْفِيِّ، مِمَّا يَنْعَكِسُ سَلْبًا عَلَى صُورَةِ اللُّغَةِ فِي أَذْهَانِ الْمُتَلَقِّينَ.

٢- الْعَامِيَّةُ فِي بَرَامِجِ الْأَطْفَالِ: يُبْرِزُ الْبَحْثُ أَهَمِّيَّةَ تَوْظِيفِ الْفُصْحَى فِي الْمَرَاحِلِ التَّأْسِيسِيَّةِ لِتَشْكِيلِ ذَائِقَةٍ لُغَوِيَّةٍ رَفِيعَةٍ لَدَى الْأَطْفَالِ، مُنْتَقِدًا انْحِرَافَ بَعْضِ الْقَنَوَاتِ عَنْ هَذَا الْمَسَارِ وَاعْتِمَادَهَا لَهَجَاتٍ مَحَلِّيَّةً فِي مَوَادِّهَا الْمُقَدَّمَةِ لِلأَطْفَالِ، وَهُوَ سُلُوكٌ يُضْعِفُ مَلَكَةَ اللُّغَةِ لَدَى النَّشْءِ.

٣- الْإِعْلَامُ الرَّقْمِيُّ وَالْمُحْتَوَى الْهَادِفُ: رُغْمَ اتِّصَافِهِ بِالْوَعْيِ الثَّقَافِيِّ، إِلَّا أَنَّ كَثِيرًا مِنْ صُنَّاعِ الْمُحْتَوَى يَلْجَأُونَ إِلَى «اللُّغَةِ الْبَيْضَاءِ» بِحُجَّةِ التَّبْسِيطِ، وَهُوَ مَا يُعَدُّ تَغْيِيبًا لِلْفُصْحَى تَحْتَ ذَرِيعَةِ تَوْسِيعِ دَائِرَةِ الْفَهْمِ، فِي ظِلِّ التَرَاجُعِ الْعَامِّ لِمُسْتَوَى التَعْلِيمِ وَالتَمَكُّنِ اللُّغَوِيِّ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا.

وفي خِتامِ الدراسةِ، يُحَذِّرُ الباحثُ مِن خُطورَةِ القطيعةِ بينَ الجَماهيرِ

والفُصحى، وَيَعتَبِرُ أَنَّ تَغييبَها – سواءٌ أَ في الخِطابِ الإعلاميِّ أَم في المنهاجِ التَّعليميِّ مِن خِلالِ جَعلِهِ غَيرَ مَهاريٍّ – هُوَ تَغييبٌ للهُوِيَّةِ نَفسِها، وَيُؤَكِّدُ أَنَّ الحِفاظَ عَلى الفُصحى لا يَعني التَّغاضيَ عَنِ الواقعِ، بَل يَتَطَلَّبُ تَكامُلاً مَنْهَجيًّا بَينَ الإعلامِ والتَّعليمِ وَمَراكِزِ صِناعَةِ الوَعْيِ.

مُقَدِّمَة

ارْتَبَطَتِ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ ـ دُونَ غَيرِها مِنَ اللُّغاتِ ـ بِكِتابٍ مُقَدَّسٍ غَيرِ مُحَرَّفٍ، يَعتَقِدُ المُسلِمونَ ـ عَمَلِيًّا، في أَيّامِ الرَّسولِ (صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ) وَخَليفَتِهِ المُتَّفَقِ على عَدالَتِهِ أَميرِ المُؤمِنينَ عَليِّ بْنِ أَبي طالِبٍ (صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِ)، وَنَظَرِيًّا بعدَ ذلك ـ يَعتَقِدونَ أَنَّهُ الدُّستورُ الذي يَحْكُمُ مَفاصِلَ حَياتِهِم جَميعَها، وَهُم ـ المسلِمينَ ـ ما يزالونَ يُخْضِعونَ طائِفَةً مِن مَفاصِلِ حَياتِهِم لأَحكامِ هذا الكِتابِ المُقَدَّسِ وَمَواعِظِهِ وَعِبَرِ قَصَصِهِ.

هذه اللُّغَةُ السامِيَةُ: أَخَذَت فَصاحَتُها العالِيَةُ بالتَّراجُعِ والتَّقَهْقُرِ عن حَياةِ الإنسانِ العَرَبِيِّ قَرنًا فَقَرنًا حَتَّى انْزَوَتْ عَن حَياتِهِ اليَوميَّةِ تَمامًا.

إِنَّ خَطْبَ انزواءِ لُغَةِ القُرآنِ الكَريمِ بِمُستَواها الفَصيحِ عَنِ الحَياةِ اليَوْمِيَّةِ للناطِقينَ بِها، كانَ يُهَوِّنُهُ وُجودُ مُستَوًى رَسميٍّ يُمَثِّلُ مِساحَةً تُمارِسُ فيها الفُصحى نَشاطَها بِدَرَجَةٍ مَقبولَةٍ. فَهَل يَبقَى الخَطبُ هَيِّنًا وَحالُ مُستواها الرَّسميِّ اليَومَ غَيرُهُ أَمس؟

التَّحَدِّياتُ التي تَعتَرِضُ طَريقَ استِعمالِ الفَصاحَةِ كَثيرَةٌ اليَومَ، وهذه الوَرَقَةُ البَحثِيَّةُ: تُحاوِلُ – إن شاءَ اللهُ تعالى – أَنْ تَعرِضَ لِما يُتاحُ لَها مِن تِلكَ التَّحَدِّياتِ، حَيثُ لُغَةُ الإعلامِ، وَما تَتَعَرَّضُ لَهُ الفَصاحَةُ فيها مِنِ اضطِهادٍ مُتَعَمَّدٍ وَغَيرِ مُتَعَمَّدٍ.

يُمَثِّلُ الإعلامُ بِمُستَوَياتِهِ المَرئِيَّةِ وَالمَسموعَةِ وَالمَقروءَةِ مَظْهَرًا مُهِمًّا مِن مَظاهِرِ المُستَوى الرَّسمِيِّ للكلامِ، بَل هُوَ المَسؤولُ عَن إشاعَتِهِ وَتَصديرِهِ بالدَّرَجَةِ الأولى.

وَلَو رَجَعْنا عُقودًا إلى الماضي غَيرِ البَعيدِ؛ لَخَرَجَ لاستِقبالِ مُشاهَداتِنا الإعلامُ مُقَدِّمًا بَينَ أَيدينا بَرامِجَ تُرَسِّخُ الهُوِيَّةَ اللُّغَوِيَّةَ وَتُغَذِّيها، وَغَيرُ بَعيدٍ عَنَّا المُسَلسَلُ التلفزيونيُّ العِراقِيُّ (أَحْلى الكَلام)، الذي هُوَ ((مُسَلسَلٌ تِلفزيونيٌّ عِراقِيٌّ تَعليمِيٌّ لِتَعليمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِطَريقَةٍ دراميَّةٍ ... كَانَ يُبَثُّ على شاشَةِ تِلفزيونِ العِراقِ – القَناةِ الأولى على شَكلِ حَلْقاتٍ مُنْفَصِلَةٍ، كُلُّ حَلْقَةٍ لَها عُنوانٌ خاصٌّ بِها، تَمَّ عَرضُها لأَوَّلِ مَرَّةٍ عامَ ١٩٨٦م))[1]، وَهُوَ مُسَلسَلٌ ما زالَ لَهُ أَثَرُهُ الواضِحُ في نُفوسِ الأَجْيالِ التي شَاهَدَتْهُ.

أَمَّا اليَومَ: فَعَرَبِيَّتُنا الفُصحَى تَخْسَرُ جُزْءًا كَبيرًا مِن مِساحَتِها ضَحِيَّةً لِجَهْلِ الإعلاميِّينَ في بَعْضِ المُؤَسَّساتِ، وَسِياسَةٍ مُتَعَمَّدَةٍ مَقْصودَةٍ في بَعْضِها الآخَرِ.

وُقوفُنا على حالِ العَرَبِيَّةِ الفُصحَى في الإعلامِ يَتَناوَلُ نَمَطًا ذا ثَلاثِ شُعَبٍ:

أَمَّا النَّمَطُ الذي نَتَناوَلُهُ فَهُوَ: تَعَمُّدُ إقصاءِ الفَصاحَةِ أَو تَحجيمِها.

وَهُوَ نَمَطٌ لَهُ شُعَبٌ مِنْها:

١-قَمْعُ العَرَبِيَّةِ الفُصحى في فَضائِيّاتِ الأَخبارِ ذاتِ الشُّهْرَةِ والانْتِشارِ.

٢-العامِّيَّةُ في بَرامِجِ الأَطفالِ.

٣-اللُّغَةُ في الإعلامِ الرَّقمِيِّ.

مَعَ مُلاحَظَةِ أَنَّ الدِّراسَةَ لا تَدرُسُ مِنَ المُحتَوى الإعلامِيِّ إِلَّا المَرْئِيَّ، مُستَثنِيَةً مِنهُ واقِعَ الفَصاحَةِ في التَّقاريرِ التلفزيونِيَّةِ والأَفلامِ الوَثائِقِيَّةِ.

أَوَّلًا: قَمْعُ العَرَبِيَّةِ الفُصحى في فَضائِيّاتِ الأَخبارِ ذاتِ الشُّهْرَةِ والانْتِشارِ:

نَقِفُ هُنا عَلى القَنَواتِ الإخباريَّةِ بالدَّرَجَةِ الأُولى؛ لِسُرْعَةِ ما تَنالُهُ هذه الفَضائِيَّاتُ مِن شُهْرَةٍ واسِعَةٍ في الشارِعِ العَرَبِيِّ، وَلا سِيَما في المُنعَطَفاتِ وَالأَحداثِ المُؤَثِّرَةِ، كَنِضالِ الشَّعْبِ الفِلَسْطِينِيِّ وَغَيرِهِ مِنَ الأَحداثِ.

وَبِحَسَبِ ما يَستَدعِيهِ مُراعاةُ حَقِّ الهُوِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ والفَصاحَةِ في مُستواها الرَّسمِيِّ: جَرَتِ العادَةُ في البَرامِجِ الإعلامِيَّةِ المَنطوقَةِ عامَّةً، وَنَشَراتِ الأَخبارِ خاصَّةً أَنْ يُؤَدَّى الكَلامُ المَكتوبُ بِلُغَةٍ فُصحَى تَمتازُ بِضَبطٍ نَحوِيٍّ وَصَرفِيٍّ عالِيَينِ، أَمَّا الكَلامُ الارْتِجالِيُّ فَيُقْبَلُ مِنَ المُقَدِّمِ أَداؤُهُ بِعَرَبِيَّةٍ سَلِيمَةٍ مُسَكَّنَةِ الأَواخِرِ غَيرِ مَمْزُوجَةٍ بالعامِّيَّةِ.

غَيرَ أَنَّ الحالَ شَرَعَت تَتَغَيَّرُ بَعدَ إطلاقِ بَثِّ قَناةِ (العَرَبِيَّةِ) الإخْبارِيَّةِ، حَيثُ تَبَنَّى سُلوكُها العَمَلِيُّ سِياسَةَ تَحجِيمٍ لِلُّغَةِ الفُصْحَى، وَمَعلومٌ ما لِهَذِهِ السِّياسَةِ مِن أَثَرٍ سَلْبِيٍّ كَبِيرٍ؛ باعتِبارِ أَنَّ قَناةَ (العَرَبِيَّةِ) هِيَ واحِدَةٌ مِن كُبْرَياتِ فَضائِيَّاتِ الأَخبارِ مِن حَيثُ المُتابَعَةُ في الوَطَنِ العَرَبِيِّ.

عَلامَ قامَتْ سِياسَتُهَا اللُّغَوِيَّةُ في نَشَراتِ الأَخبارِ؟

أ/ أَمَّا عِندَ قِراءَةِ نَصٍّ مَكتوبٍ: فَلُغَةُ المُقَدِّمِ تَكونُ فَصيحَةً مَشكولَةَ أَواخِرِ بَعضِ الكَلِماتِ وَساكِنَةَ أَواخِرِ بَعْضِها الآخَرِ. وَسَنَعرِضُ هُنا أُنموذَجًا بُثَّ قَبْلَ سِتَّةَ عَشَرَ عامًا، نَشْكُلُ أَواخِرَ كَلِماتِهِ كَما نَطَقَتْها المُذيعَةُ: ((حَيَّاكُمُ اللهُ مُشاهِدينا أَهلًا بِكُم إلى حَلَقَةٍ جَديدَةٍ مِن برنامجِ (مِنَ العراق): أَرقامٌ تَكادُ تَكونُ فَلَكِيَّة، تِلْكَ التي يَتِمُّ الحَديثُ عَنها لِتَقييمِ الهَدْرِ الحُكومِيِّ وَسَرِقَةِ المالِ العامِّ في الدَّولَةِ العِراقِيَّة، وفي الوقتِ الذي تُؤَكِّدُ المَصادِرُ الغربِيَّةُ فيه اختفاءَ ثَلاثَةٍ وَعِشْرِينَ مِلْيارْ دولارْ مِن مَوارِدِ العِراقْ خِلالَ السَّنَواتِ الماضِيَة، فَإِنَّ

تلكَ الأَرقامْ تَتَضاعَفْ لِتَصِلْ إلى مِئَتَيْنْ وَخَمْسينْ مِلْيارْ دولارْ. هذا طَبْعًا وِفقْ تَقاريرْ هَيْأَةْ النَّزاهَة العِراقيَّة التي تَناوَلْناها في وَقْتْ سابِقْ، والتي اتَّهَمَتْ رِئاسَةَ الوُزَراءْ بِالفَسادْ. في المُقابِلْ هُناكَ حَديثٌ عَن تَنفيذِ أَوسَعِ خِطَّةٍ استِثمارِيَّةٍ لإنفاقِ ما يُقارِبْ السِّتِّينْ مِليارْ دولارْ لإحداثِ التَّنمِيَةِ المَوعودَة، وَإعْمارْ ما دَمَّرَتْهُ الحَرْبْ، وَإعادَةِ بِناءِ الدَّولَةِ العِراقيَّة وَتَرميمْ أَوضاعِها...))[٢].

هذا جُزْءٌ مِن أَداءٍ مُذيعَةٍ لِكَلامٍ مَكْتوبٍ في بَرنامَجٍ سِياسِيٍّ بُثَّ ـ كَما ذُكِرَ آنِفًا ـ قَبْلَ سِتَّةَ عَشَرَ عامًا، وَالنَّظَرُ فيهِ يَكْشِفُ عَنْ:

١ – أَنَّ المُذيعَةَ خَبيرَةٌ بِالأَداءِ الفَصيحِ، تَستَطيعُ أَداءَ هذا الكَلامِ بِضَبْطٍ نَحْويٍّ أَفْضَلَ لَوْ أَرادَتْ ذلكَ؛ يَدُلُّ على ذلكَ دِقَّةُ الشَّكْلِ النَّحويِّ في الكَلِماتِ التي نَطَقَتْها مَشكولَةً، وَكَسْرُها خاءَ (خِطَّة)، وَهُوَ مِن ضَمِّها أَصْوَبُ.[٣]

٢ – أَنَّ التَّهاوُنَ في الضَّبطِ يَتَجاوَزُ التَّهاوُنَ النَّحويَّ شاقًّا طَريقَهُ نَحوَ تَهاوُنٍ صَرفيٍّ واضِحٍ في نُطْقِ كَلِمَةِ (وَفْق)، التي يَشيعُ كَسرُ وَاوِها في العَرَبِيَّةِ المُعاصِرَة؛ لِذا نَراها تُكسَرُ فاؤُها عِندَ استِدراجِها إلى العامِّيَّةِ، وهذا ما فَعَلَتْهُ المُذيعَةُ هُنا فَقالَت: (وِفِقْ).

كُنتُ أَستَمِعُ إلى هذا التَّهاوُنِ الواضِحِ مُتَخَوِّفًا مِن جُنوحِ أَكْبَرَ نَحوَ مَزْجِ الكَلامِ الفَصيحِ بِالعامِّيَّةِ، لا سِيَما مَعَ وُجودِ بَوادِرَ واضِحَةٍ لِذلكَ في المُحاوَراتِ الارتِجالِيَّةِ كَما سَنَرى إن شاءَ اللهُ تعالى.

ب/ أَمَّا حينَ تَحُطُّ لُغَةُ الإعلامِ في هذه القَناةِ رِحالَها عِندَ حِوارٍ مَعَ ضَيفٍ، يَلي قِراءَةَ الكَلامِ المَكتوبِ، كَما في الحَلْقَةِ التي اقتَبَسْنا مِنها، فَأَداءُ المُقَدِّمِ لا يَقتَصِرُ على تَسكينِ أَواخِرِ الكَلِمِ، بَل يَتَجاوَزُ ذلكَ إلى تَحريكِ الكَلِماتِ المُسنَدَةِ إلى ضَميرِ الخِطابِ (الكافِ) ضَميرًا يُخاطَبُ بِهِ المُحاوَرُ، تَحريكًا عامِّيًّا كَما

في عِبارَةِ (ما تَعليقَك) التي وَرَدَتْ في أَوَّلِ أَسئِلَةِ الحِوارِ في هذه الحَلْقَةِ، مَعَ مُلاحَظَةِ عَدَمِ وُجودِ مِثلِ هذا التَّهاوُنِ في قَنَواتٍ إِخباريَّةٍ عَرَبِيَّةٍ أُخرى عالِيَةِ الشُّهرَةِ وَالمُتابَعَةِ.

امْتِداداتُ هذا التَّهاوُنِ:

قَد يَسُنُّ شَخْصٌ أَو مُؤَسَّسَةٌ سُنَّةً سَيِّئَةً في مَجالٍ ما يُحاوِلُ الوُقوفَ فيها عِندَ مُستَوًى مُعَيَّنٍ، مُدرِكًا أَو غَيرَ مُدرِكٍ أَنَّ غَيرَهُ سَيَتَلَقَّفُ هذه البَذْرَةَ وَيُنَمِّيها، وَهُوَ ما حَصَلَ بالفِعلِ.

وَهُنا مَظهَرانِ جَديدانِ:

أَوَّلُهُما: استِدعاءُ أَلفاظٍ أَكثَرَ عامِّيَّةً في الحِوارِ.

الثاني: تَسليقُ شَيءٍ مِنَ الأَداءِ العامِّيِّ إِلى قِراءَةِ النُّصوصِ المَكتوبَةِ.

فَفي قَناةِ (سكاي نيوز عربية) النُّسخَةِ العَرَبِيَّةِ مِن (سكاي نيوز البريطانية) نَجِدُ مُيولًا نَحوَ العامِّيَّةِ وَتَحجيمًا للفُصحى لا نَجِدُهُ في غَيرِها مِنَ القَنَواتِ المَشهورَةِ، وَهَذا نَصُّ إِلقاءٍ لِكَلامٍ مَكتوبٍ أَكتُبُهُ كَما نُطِقَ: ((وَمَعَ تْرامْبْ سَتَنْتَهِي حَرُبْ أُوكْرانْيا، هذه الجُمْلَة كانَتْ وَعْدْ قَطَعُو الرَّئيس الأَميرْكِيِّ المُنتَخَبْ خِلالَ حَمَلاتِه قَبْلَ الإِنتِخاباتْ. هَل سَيَفي بِهذا التَّعَهُّدْ؟ ...))[٤].

إِذ نَجِدُ في هذه القِطعَةِ الكَثيرِ أَمثالُها، غِيابًا وَاضِحًا للضَّبطِ النَّحويِّ لأَواخِرِ الكَلِماتِ، وَمُيولًا جامِحًا نَحوَ التَّسكينِ وَالكَسرِ لالتِقاءِ الساكِنَينِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ اسْتِحقاقِ الكَلِمَةِ مِنَ الإِعرابِ، وهذا الجُنوحُ نَحوَ التَّسكينِ: لا يُشبِعُ نَهَمَهُ المَرفوعاتُ والمَجروراتُ، حَتَّى يُلحِقَ بِرَكبِهِ النَّكِراتِ المَنصوبَةَ، التي حَقُّها أَن يُنطَقَ آخِرُها نُونًا في الوَصلِ وَأَلِفًا في الوَقفِ أَو نُونًا بِحَسَبِ ما شاعَ في العَرَبِيَّةِ المُعاصِرَةِ. رَأَينا ذلك ـ في هذا المَقطَعِ المُقتَطَعِ ـ عِندَ عِبارَةِ (كانَ وَعْدْ) التي حَقُّها: كَانَ وَعْدًا.

وَأَنكسُ لِرَأْسِ الفُصحَى مِنْ ذلك: هُوَ الأَداءُ العامِّيُّ (قَطَعُو) للفِعْلِ (قَطَعَهُ).

وَفي هـذه القَنـاةِ نَفسِـها، وَفي غَيرِهـا أَيضًـا: يُـمارِسُ مُذيعُـو الأَخبـارِ والبَرامِـجِ السِّياسِيَّةِ اضطِهـادًا وَقَمْعًـا للعَرَبِيَّـةِ الفُصحى لا يَحْتَمِلُـه غَيـورٌ على لُغَـةِ كِتابِ اللهِ تعـالى؛ حَيـثُ يَستَدعي المُذيعـونَ أَلفاظًـا عامِّيَّـةً في الحِـوارِ، مِـن قَبيـلِ (خَلِّينـا، بَسْ، في) وَالأَخيرةُ تَعني (هُنـاكَ) أَو (يُوجَـدُ)، جـاءَ في نَـصِّ سُـؤالٍ يَطرحُـهُ المُذيـعُ في نَـشرَةِ أَخبـارٍ، حَيـثُ يَتَحَـدَّثُ المُذيـعُ مَـعَ المُراسِـلِ قائـلًا: ((بَشَّـارْ عَفْـوًا: قَبـلْ أَنْ نَذْهَـبْ إلى السياسـة بَسْ، مَوضـوعْ استِهْدافْ مَقَرّْ للمُخابَـراتْ، قاعِـدَة بَحريَّـة في أَسـدودْ، هـذه النِّقـاطِ المُستَهْدَفَة مـا أَهَمِّيَّتْهـا؟ لأَنَّهـا في العُمْـقْ، يَعني نِتْحَـدَّثْ عَـن قاعِـدَة حَتَّـى في جَنُـوبْ إسرائيـلْ، بَسْ لـو تُشِـيرْ لَنـا إلى الأَهـدافِ العَسْـكَرِيَّة التـي أَيْضًـا تَـمَّ استِهدافُها اليَـوْمْ في إسرائِيـلْ))[٥].

حَيـثُ يَظهَـرُ تَعَمُّـدُ عامِّيَّـةِ الأَداءِ واضِحًـا؛ يَـدُلُّ عـلى ذلـك قُـدرَةُ المُذيـعِ عـلى التَّحريـكِ الصَّحيـحِ حَيـثُ أَرادَ، كَـما في عِبـارَةِ (تَـمَّ استِهدافُها)؛ وَهُـوَ مـا يَكْشِـفُ عَـن مُؤامَـرَةٍ واضِحَـةٍ تَستَهْدِفُ العَرَبِيَّـةَ الفُصحى.

وَلا شَـكَّ أَنَّـكَ ـ أَيُّهـا العَـرَبِيُّ الغَيـورُ ـ قـد مَـجَّ سَـمعَكَ أَلفـاظُ (قَبـلْ، بَـسْ، أَهَمِّيَّتْهـا، نِتْحَـدَّثْ)

وَيَزيـدُ المُتابِـعَ دَهْشَـةً تَسكِينُ أَواخِـرِ الفِعـلِ المـاضي المَبْنِـيِّ عـلى الفَتـحِ، وَذَلِـكَ فيَ نَـشراتِ أَخبـارِ هـذه القَنـاةِ غَيـرُ قَليـلٍ، مِنـهُ هـذا النَّـصُّ: ((وَفي الإطـارِ نَفْسِـهْ: نَقَـلْ مَوْقِـعْ (أَكسْـيوسْ) عَـنْ مَسْـؤولْ إسْرائيـلي قَوْلَـهُ: إنَّ الحُكومـة تَتَّجِـهْ لِعَقْـدِ اتِّفـاقْ لِوَقْـفِ إطْـلاقِ النَّـارْ في لُبْنـانْ مَـعَ حَـزْبِ الله))[٦].

وَهُـوَ نَـصٌّ كَتَبْتُـهُ عَـن إلقـاءِ مُذيعَـةٍ تَقـرَأُ خَبَرًا مَكتوبًـا، وَفيـهِ تَهاوُنـانِ يَشـيعانِ في أَخبـارِ هـذه القَنـاةِ زِيـادَةً عـلى مـا تَقَـدَّمَ في النَّمـوذَجِ السـابِقِ:

أَوَّلُهما: تَسْكِينُ آخِرِ الفِعْلِ الماضي المَبْنِيِّ على الفَتح.

الثاني: عَدَمُ نُطْقِ التَّضعيف (الشَّدَّة) في الياءِ المُشَدَّدَة.

وَمِثْلُ ذلك الاضْطِهادِ المُتَعَمَّدِ وَالمَدروسِ لِلُغَتِنا الفُصحى في هذه القناةِ كَثيرٌ شائعٌ.

وَلَئِنْ أَزالَ عَجَبَنا مِن قَمعِ تلكَ الفَضائِياتِ لِلُغَةِ القُرآنِ الكَريمِ فَهْمُنا وإدراكُنا أَنَّ الانسِلاخَ عَنِ الهُوِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ نَتيجَةٌ طَبيعِيَّةٌ للانسِلاخِ عَنِ الهُوِيَّةِ الإسلامِيَّةِ وَالارْتِماءِ في أَحضانِ الغَربِ وَثَقافَتِهِ، أَقولُ: لَئِن فُهِمَ ذلك، فَكَيفَ يُفْهَمُ مِثلُ هذا السُّلوكِ أَو قَريبٌ مِنهُ في وَسائِلِ إعلامٍ إخباريَّةٍ ذاتِ تَوَجُّهٍ مُختَلِفٍ؟

قَناةُ المَيادينِ: قَناةٌ إخباريَّةٌ مَعروفَةُ التَّوَجُّهِ، يُؤَدِّي مُذيعوها النُّصوصَ المَكتوبَةَ بِفَصاحَةٍ مَقبولَةٍ، وَهُوَ ما قد يَكونُ مُؤَشِّرًا على تَنَبُّهِها إلى عُنصُرِ المُؤامَرَةِ للقَضاءِ على اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الفُصحى، غَيرَ أَنَّ كَمِيَّةَ هذا التَّنَبُّهِ الذي افتَرَضْناهُ مَحدودَةٌ في الأَداءِ الحِواريِّ، جاءَ في أَحَدِ الحِواراتِ: ((مُديرْ مَكْتَبِ المَيادينْ في فِلِسْطِينِ المُحْتَلَّة ناصِرْ لَحَّامْ مَعَنا الآنْ لِيُطْلِعْنا على آخِرِ المُسْتَجِدَّاتْ فيما يَتَعَلَّقْ بالحَديثْ عَنْ قُرْبْ التَّوَصُّلْ لِوَقْفْ إِطلاقِ النارْ مِنَ المُمْكِنِ الإِعْلانْ عَنُّو خِلالَ الساعاتِ المُقْبِلة بِحَسَبْ وَسائِلِ الإِعْلامِ الإِسرائيلِيَّة، أَهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ ناصِرْ لَوْ تَضَعْنا في آخِرِ المُسْتَجِدَّاتْ))[٧].

وَلاحِظْ تَسكينَ آخِرِ الفِعلِ المُضارِعِ على الرَّغمِ مِنْ إِسنادِهِ إلى ضَميرٍ، كَما في (لِيُطْلِعْنا، تَضَعْنا).

ثُمَّ امكُثْ عِندَ النُّطْقِ العامِّيِّ: (عَنُّو) الذي هُوَ أَثقَلُ نُطْقًا مِنْ مُقابِلِهِ الفَصيحِ (عَنْهُ) وَما وَراءَ يُسرِهِ في لِسانِ المُتَحَدِّثِ بِهِ غَيرُ الاعْتِيادِ اللَهَجِيِّ.

هـذه أَمثِلَـةٌ مِـن قَمعٍ مُتَعَمَّـدٍ للفَصاحَـةِ في الإعـلام يَكْشِـفُ لي دِقَّـةَ مـا قَالَـهُ لي المَرجِـعُ الدينِـيُّ الكَبـيرُ سَـماحَةُ الشـيخ بَشـيرُ النَّجفـيُّ (دامَ ظِلُّـهُ الشريـفُ) قَبـلَ أَكثـرَ مِـن اثنَتَـيْ عَشْـرَةَ سَـنَةً، حِـينَ سَـأَلْتُهُ رَأْيَـهُ فيـما يُسَـمَّى قَصيـدَةَ النَّثـر، فَحَـذَّرَني منهـا تَحذيـرًا شَـديدًا مُؤَكِّـدًا أَنَّهـا ((مُؤامَـرَةٌ صُهيونِيَّـةٌ للقَضـاءِ عـلى اللُّغَـةِ العَرَبِيَّـة)) وَأَنَّ مـا يَسـتَحِقُّ أَن يُسَـمَّى شِـعرًا هُـوَ شِـعْرُ الكُمَيـتِ الأَسَـدِيِّ وَأَمثالِـه. وَلَعَـلَّ الهُـوَّةَ الكَبـيرَةَ التـي أَحدَثَتْهـا الحَداثَـةُ الشِّـعريَّةُ بَـينَ الشِّـعْرِ الفَصيـحِ والجُمهـورِ ثَمَـرَةٌ مِـن ثِـمارِ تلـك المُؤامَـرَةِ. هـذا وَأَدَبُ الحَداثَـةِ ـ مَنثـورُهُ وَمَوزونُـهُ ـ فَصيـحٌ، فَكَيـفَ لا يَكـونُ مُؤامَـرَةً هـذا القَمـعُ المُمَنهَـجُ للفَصاحَـةِ في الإعـلام؟

ثانيًا: العامِّيَّةُ في بَرامِجِ الأَطفال:

قَبلَ أَن نَفْتَحَ نافِذَةَ المَوضوعِ، يَلزَمُنا بَيانُ أَهَمِّيَّةِ الفُصحى في بَرامِجِ الأَطفال:

١- فَالطِّفْلُ حَدَثٌ قَلبُهُ ((كَالأَرضِ الخَالِيَةِ، ما أُلْقِيَ فيها مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ)).[٨]

٢- وَاسْـتِماعُ الـكَلامِ الفَصيـحِ: هُـوَ أَفضَـلُ طَريقَـةٍ لِتَعَلُّـمِ اللُّغَـةِ الفُصحـى، بِمَعنـى أَنَّ تَسـميعَ المُتَلَقـي وَالمُتَعَلِّـمِ أَداءً صَوتِيًّـا صَحيحًـا للـكَلامِ الفَصيـحِ أَهَـمُّ وَأَجْـدَى مِـن تَعليمِـهِ قَواعِـدَ النَّحـو.

٣- يَبـانُ مِمّـا تَقَـدَّمَ: أَنَّ الطِّفـلَ (الحَـدَثَ) الـذي يُسَـمَّعُ الأَداءَ الفَصيـحَ للـكلام، سَيَكونُ سَريـعَ التَّعَلُّـمِ للفَصاحَـةِ، وَفي الحَيـاةِ شَـواهِدُ كافِيَـةٌ عـلى ذلـك.

وَيَبـدو أَنَّ ثَمَّـةَ قَنَـواتِ أَطفـالٍ مُهِمَّـةً تَنَبَّهَـتْ إلى ذلـك فَاتَّخَـذَتِ الفُصحـى مَسـارًا لِلُّغَـةِ مَوادِّهـا لا تَحيـدُ عَنـهُ، وَقَـد لَمَسْـنا ذلـك واضِحًـا في بَرامِـجِ قَنـاةِ (هُدْهُـدِ الفَضائِيَّـةِ التابِعَـةِ لِمَكتَـبِ المَرجِعِيَّـةِ العُلْيـا للشِّـيعةِ في قُـم، حَيـثُ حَرَصَـتْ وَتَحـرِصُ عـلى تَقديـمِ مُعظَـمِ بَرامِجِهـا وَكُلِّ أَناشـيدِها بِلُغَـةٍ فُصحـى[٩].

غَـيرَ أَنَّ ثَمَّـةَ خُروجًـا عَـن هـذا المَسـارِ في مَـوادَّ كارتونِيَّـةٍ وَبَرامِـجَ في شَرِكاتِ

إنتاجٍ أَو قَنواتٍ أُخرى تَتَّخِذُ عامِّيّاتِ مِصْرَ والخَليجِ لُغَةً لِدَبْلَجَةِ المَوادِّ الكارتونِيَّةِ، وَهُوَ ما نَقَمَ مِنهُ بَعضُ الأَصواتِ[١٠].

وَأَوَدُّ ـ هُنا ـ أَنْ أَكونَ صَوتًا مُتَأَسِّفًا لِما تُلاقيهِ العَرَبِيَّةُ الفُصحى مِن تَحجيمٍ في بَرنامَجِ (عَمُّو فَرحان) الذي تَبُثُّهُ شاشَةُ قَناةِ كَرْبَلاءَ الفَضائيةِ، وَكانَ الأَجْدَرُ بِهِ أَن يَحمِلَ اسمًا فَصيحًا، وَلْيَكُنِ (العَمُّ فرحان) مَثَلًا، وَأَنْ تَكونَ الفُصحى البَسيطَةُ المَفهومَةُ هِيَ لُغَةَ الحِوارِ في البَرنامَجِ بَدَلَ اللَهجَةِ الدارِجَةِ.

ثالثًا: اللُغَةُ في الإعلامِ الرَّقْمِيِّ:

وَحينَ ضاقَتْ بِالهَواتِفِ وَاللَوْحِيّاتِ الذَّكِيَّةِ البُيوتُ، وَأَمسى أَهَمَّ تَطبيقاتِها مِنَصّاتُ التَّواصُلِ الاجْتِماعِيِّ كَـ(يوتيوب) وَ(فيسبوك) وَغَيرِهِما، أَصبَحَ المُتابِعُ أَلْصَقَ بِهذهِ المِنَصّاتِ مِنْهُ بِالفَضائِيّاتِ، حينَذاكَ: نَشَطَتِ الحِساباتُ المُختَلِفَةُ قَنَواتٍ وَصَفَحاتٍ وَمَجموعاتٍ، كُلٌّ يُقَدِّمُ مُحتَواهُ غَيرَ مُتَجَشِّمٍ تَكْلِفَةً كَتِلكَ التي يَتَجَشَّمُها أَصحابُ الفَضائِيّاتِ؛ وَهُوَ ما أَتاحَ لِمَن هَبَّ وَدَبَّ أَن يُنشِئَ حِسابًا يَتَّخِذُهُ طَريقًا إلى الشُّهرَةِ، وَإِن كانَ المُحتَوى هابِطًا.

وَلا شَكَّ أَنَّ نُخَبَ الوَعْيِ وَالغَيرَةِ على الدِّينِ وَالقِيَمِ الأَصيلَةِ لَم وَلَن تَسمَحَ لها غَيْرَتُها أَن تَترُكَ تلك المِنَصّاتِ لأَصحابِ المُحتوى الهابِطِ وَالمُناهِضِ للدينِ حَتَّى تَكونَ لَها حِساباتُ وَعْيٍ تَكُونُ ضِدًّا نَوْعِيًّا لِذاكَ المُحْتَوى.

وَبِما أَنَّ هذا المَقطَعَ مِنَ الوَرَقَةِ البَحْثِيَّةِ يَتَناوَلُ تَغييبَ الفَصاحَةِ في لُغَةِ الإعلامِ الرَّقمِيِّ؛ لا يَسَعُهُ الوُقوفُ إِلَّا على حِساباتِ الوَعيِ وَالبَصيرَةِ، التي تَستَحِقُّ النَّقدَ والدِّراسَةَ.

ثَمَّةَ حِساباتٌ تُقَدِّمُ مُحتَوًى مَرئِيًّا هادِفًا، مِنها: فَريقُ أَبعادٍ الإعلامِيُّ[١١] الذي تُقَدِّمُ مَوادُّهُ الهادِفَةُ بِعامِّيَّةٍ تَستَدعي بَعضَ الأَلفاظِ الفَصيحَةِ، عامِّيَّةٍ يُسَمُّونَها

اللَهْجَةَ البَيضاءَ، وَقَد تواصَلْتُ مَعَ أَحَدِ أَبْرَزِ إعلاميِّي الفَريقِ أَسأَلُهُ عَن عِلَّةِ استعمالِ هذه اللَهجَةِ، فَكَتَبَ لي ما نَصُّهُ: ((لأَنَّها اللُغَةُ السائِدَةُ))[١٢] وَهيَ إجابَةٌ تُؤَكِّدُ دِقَّةَ تَصنيفي هذا الاستعمالَ اللَهَجيَّ ضِمْنَ التَّغييبِ المُتَعَمَّدِ للفُصحى، غَيرَ أَنَّهُ تابَعَ مُوَضِّحًا أَنَّهُم يَستَعمِلونَ الفُصحى في التَّقاريرِ وَ(البُوستَراتِ) ـ كَما عَبَّرَ ـ وَلَدَيهِم مُدَقِّقونَ لُغَويُّونَ ضَليعونَ في العَرَبيَّةِ، غَيرَ أَنَّ مَيلَ الوَضعِ العَامِّ إلى العامِّيَّةِ أَوَّلًا، وَحِرصَ الفَريقِ على إيصالِ مَعلومَةٍ هيَ أَهَمُّ مِنَ اللُغَةِ نَفْسِها ثانيًا: عامِلانِ ضاغِطانِ يُحَتِّمانِ استعمالَ اللَهْجَةِ البَيضاءِ في الأَداءِ.

أَمَّا صانِعُ المُحتَوى الهادِفِ، الإعلاميُّ مُصطَفى ناجي الجارِ الله، صاحِبُ حِسابِ (خَصْمُ الكَلام)[١٣] فَكانَ جَوابُهُ حينَ وَجَّهْتُ السُّؤالَ نَفْسَهُ إِلَيهِ أَكْثَرَ تَفْصيلًا، فَقالَ ما أَنْقُلُهُ بِتَصَرُّفٍ: إِنَّ ثَمَّةَ أُمورًا عِدَّةً تَدعونا إلى الكَلامِ باللَهْجَةِ البَيضاءِ، أَهَمُّها الحاجَةُ إلى إيصالِ المُحتَوى الهادِفِ إلى كُلِّ المُستَوَياتِ، بِحَيثُ يُناسِبُ الطَّبَقَةَ العالِيَةَ وَالطَّبقاتِ المُتَوَسِّطَةَ إلى الحَدِّ الأَدنى مِنَ الطَّبقاتِ، أي: الطَّبقاتِ الثَّقافِيَّةِ، وَحَتَّى يَكُونَ الكَلامُ خارِجَ إطارِ التَّنظيرِ وَالمِثاليَّةِ؛ لِيَكونَ سَهلًا فَهمُهُ وَتَطبيقُهُ لِمَن يَسمَعُ، فَالخِطابُ لا بُدَّ أن يَكونَ مِنَ السَّهلِ المُمتَنِعِ؛ لِيَتَناسَبَ مَعَ فَهمِ الجَميعِ.

وَهيَ إجابَةٌ قَد تَبدو عاذِرَةً، لَكِنَّ أَوَّلَ سُؤالٍ يُطرَحُ أَمامَ هذا الجَوابِ هُوَ: لِماذا يَفْهَمُ الأَطفالُ لُغَةَ أَفلامِ الكارتون وَتُوَجَّهُ لهم بالفُصحى وَيَتَجَنَّبُ الإعلاميونَ التَّوْعَويُّونَ مُخاطَبَةَ المُجتَمَعِ بالفُصحى بِحُجَّةِ أَنَّهُ لا يَفْهَمُها؟

لَكِنَّ صانِعَ المُحتَوى المُحتَرَمَ مصطفى ناجي لَهُ إجابَةٌ على هذا السؤالِ قالَها بالعامِّيَّةِ وَأَنقُلُها بالفُصحى: مِنَ الطَبيعِيِّ أَن يَفهَمَ الطِّفلُ الفُصحى في المَوادِّ المُوَجَّهَةِ لَهُ؛ لِعُكوفِهِ مُنذُ نُعومَةِ أَظفارِهِ على الفَضائِيَّاتِ وَقَنَواتِ

اليوتيوب التي تَبُثُّ مُحتَوَاها المُوَجَّهَ للأَطفال بالفُصحى حتى يُتاحَ لِكُلِّ أَطفالِ البُلدانِ العَرَبِيَّةِ مُشاهَدَتُهُ وَفَهْمُهُ، يَدُلُّ على ذلك أَنَّكَ لَو شاهَدْتَ بَرنامَجًا باللَهْجَةِ الجَزائِرِيَّةِ فَلَن تَفهَمَ شَيئًا مِنهُ. وَالكَلامُ هُنا عَنِ البَثِّ الفَضائِيِّ. أَمَّا إذا تَحَدَّثْنا عَنِ البَثِّ المَحَلِّيِّ (الداخِلِيِّ): فَنَحنُ هَدَفُنا العِراقُ؛ إذ علينا أَن نُرَمِّمَ صُفوفَنا قَبلَ أَن نُخاطِبَ غَيرَنا، لذلك؛ يَجِبُ أَن يَكونَ كلامُنا بِهَذا المُستَوَى؛ فَمِمَّا يُؤسَفُ لَهُ أَسَفًا شَديدًا أَنَّ جُزءًا مِنَ التَّعليمِ في بَلَدِنا انحَدَرَ قَليلًا، وَفِئَةً كَبيرَةً مِنَ المُجتَمَعِ لَم يَتَسَنَّ لَها إكمالُ الدِّراسَةِ، فَكَيفَ تُخاطِبُ أَفرادًا بِهذا المستوى لَم تَصِلْهُم مِثلُ هذه المُفرَداتِ، أو لم يَسمَعوها إلا في المُسَلسَلاتِ المثاليَّةِ؟ فَالضروريُّ أَلّا نَنزِلَ لِهَذهِ المُستَوَياتِ، بَلِ التَّعبيرُ الأَدَقُّ، وَالوَصفُ الأَدَقُّ لِعَمَلِنا هُوَ أَنَّنا نَتَشِلُ جُزْءًا كَبيرًا مِنَ المُجتَمَعِ حَتَّى يَرتَقِيَ، لِذا؛ يَلزَمُنا أَن نُخاطِبَهُ هذه المُخاطَبَةَ المَفهومَةَ، وَهَذهِ المُخاطَبَةُ: تَكونُ باللَهْجَةِ البَيضاءِ؛ حَتَّى لا نَنْتَقِصَ مِنَ الطَّبَقَةِ المُثَقَّفَةِ التي تَشْنَأُ الحَديثَ مَعَها بالعامِّيَّةِ، وَلا نَنْتَقِصُ مِنَ الطَّبَقَةِ المُتَوَسِّطَةِ التي هِيَ لَيسَتْ عاجِزَةً عَن فَهمِ الكَلامِ الفَصيحِ، فَهِيَ تَفهَمُهُ لَكِنَّها لا تَرغَبُ بِسَماعِهِ وَتَعتَبِرُهُ مِثاليًّا، وَنَحنُ الآنَ نَتَعَرَّضُ لِحَربٍ إعلامِيَّةٍ مُمَنهَجَةٍ تَعمَلُ على تَسقيطِ الرُّموزِ وَالقُدُواتِ وَما شابَهَ ذلك؛ لِذا يَجِبُ علينا أَنْ نُغَيِّرَ أَساليبَنا وَطَريقَةَ الخِطابِ؛ لِأَنَّ ثَقافَةَ المُجتَمَعِ قَد تَغَيَّرَتْ، وَلَم تَعُدْ على ما كانت عليهِ في السَّبعينِيّاتِ وَالثَّمانينِيّاتِ حينَ كانَتِ الفُصحى هِيَ لُغَةَ المُسلسَلاتِ وَالبَرامِجِ ...

إِذَنْ: نَفهَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ التَغييبَ المُتَعَمَّدَ للفَصاحَةِ في لُغَةِ الإعلامِ الرَّقمِيِّ الهادِفِ اضطِرارٌ لا رَغبَةٌ؛ لِأَنَّ ثَمَّةَ عَوامِلَ مُتَداخِلَةً تُوَجِّهُ بَوصَلَةَ ثَقافَةِ المُجتَمَعِ صُعودًا أَو هُمودًا هِيَ الدَّولَةُ وَتَعليمُها وَإعلامُها

أَمَّا الإِعلامُ: فَبَرامِجُهُ تُفرَضُ على المُتَلَقِّي وَلَيسَ العَكْسُ، وَلَيسَ أَدَلَّ على ذلك مِنَ الإِعلامِ المُوَجَّهِ الذي نَراهُ واضِحًا، فَالإِعلامُ القادِرُ على صُنعِ عَقلٍ جَمعِيٍّ في اتِّجاهٍ ما، قادِرٌ على صُنعِ ثَقافَةٍ وَوَعْيٍ لُغَوِيٍّ وَمَعرِفِيٍّ لَو أُريدَ لَهُ ذلك.

وَأَمَّا التعليمُ: فَمَناهِجُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ التي نُدَرِّسُها في المدارسِ الثانَوِيَّةِ، مَناهِجُ غَيْرُ مَهارِيَّةٍ، تُخَرِّجُ الطَّالِبَ مِنَ السادِسِ الإِعدادِيِّ بِدَرَجَةٍ عالِيَةٍ وَهُوَ لا يُجيدُ الإِمْلاءَ وَالتَّعبيرَ، وَكَم مِن طَبيبٍ تَخَرَّجَ بِمُعَدَّلٍ عالٍ لا يُتقِنُ الكِتابَةَ وَالإِملاءَ، فَضلًا عَن أَن يُتْقِنَ الفَصاحَةَ وَالتَّعبيرَ. وَفي ذلك تَفصيلٌ طَويلٌ يَستَحِقُّ وَرَقَةً بَحثِيَّةً مُستَقِلَّةً تَتَناوَلُ عَجْزَ مَناهِجِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ في العِراقِ عَن تَنمِيَةِ المَهاراتِ اللُّغَوِيَّةِ لَدى المُتَعَلِّمينَ.

وَسَواءٌ أَعاذِرَةً كانَت تِلكُمُ الأَسبابُ أَم غَيرَ عاذِرَةٍ، فَالهُوِيَّةُ اللُّغَوِيَّةُ لِمُجتَمَعِنا هِيَ الضَّحِيَّةُ.

الهوامش

(1)https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AD%D9%84%D9%89_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D8%A7%D9%85_(%D8%A8%D8%B1%D9%86%D8%A7%D9%85%D8%AC)

(2)https://youtu.be/fHjTd54_ncs?si=ig1Hq4lRvOKz3Imi

(٣)يُنظَر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية: مادة (خطط) ١٩/ ٢٥٠.

(4) https://youtu.be/dHacwcwCzzI?si=BeytXOTZ-B8yp43H

(5)https://youtu.be/FxwY44SVREg?si=2535j7swQ1YeBus2

(6)https://youtu.be/3PL9GQSUTDU?si=3a_ZUBTIIqGPb_7r

(7)https://youtu.be/YD3PU_x70hA?si=WKioi-m8dJLRVnkq

(٨)نهج البلاغة، جمع وتبويب: أَبُو الحَسَنِ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ بِنُ الحُسَيْنِ بنُ مُوْسَى المُوسَوِيُّ الهَاشِمِيُّ القُرَشِيُّ (ت: ٤٠٦هـ)، تح: الشيخ قيس بهجت العطّار، مؤسسة الرافد للمطبوعات – قم، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠: ٥٢٣.

(9) -https://mail.kitabat.info/list.php?list=8&part=35

(10) مِنها مِثلاً المِقالِ الموجودِ هُنا: -https://alghad.com/Section-208/uncategorized/%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D9%83%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%85%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D8%AA%D9%88%D9%86-%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B5%D8%AD%D9%89-42298

(١١)فريق أبعاد الإعلامي:

https://www.facebook.com/Abaadmt?mibextid=ZbWKwL

(١٢)الإعلامي حسن الطرفي من فريق أبعاد الإعلامي، تاريخ المراسلة: الخميس ٢٨/ ١١/ ٢٠٢٤.

(١٣)صانع المحتوى مُصطَفى ناجي الجار الله، تاريخ المراسلة: الخميس ٢٨/ ١١/ ٢٠٢٤.

المصادر والمراجع

الكتب

* تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
* نهج البلاغة، جمع وتبويب: أَبُو الحَسَن السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ بنُ الحُسَيْن بنُ مُوْسَى المُوسَويُّ الهَاشِميُّ القُرَشيُّ (ت: ٤٠٦هـ)، تح: الشيخ قيس بهجتَ العطّار، مؤسسة الرافد للمطبوعات - قم، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠ م.

المواقع الالكترونية:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AD%D9%84%D9%89_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D8%A7%D9%85_(%D8%A8%D8%B1%D9%86%D8%A7%D9%85%D8%AC)

* https://youtu.be/fHjTd54_ncs?si=ig1Hq4lRvOKz3Imi
* https://youtu.be/dHacwcw-CzzI?si=BeytXOTZ-B8yp43H
* https://youtu.be Fx-wY44SVREg?si=2535j7swQ1Ye-Bus2
* https://youtu.be/3PL9GQSUT-DU?si=3a_ZUBTIIqGPb_7r
* https://youtu.be/YD3PU_x70hA?si=WKioi-m8dJLRVnkq
* https://mail.kitabat.info/list.php?list=8&part=35
* https://alghad.com/Section-208/uncategorized/%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D9%83%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%85%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D8%AA%D9%88%D9%86-%D8%AA%D8%BA%D9%8A%D8%%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B5%D8%AD%D9%89-42298
* https://www.facebook.com/Abaadmt?mibextid=ZbWKwL

* المراسلات الالكترونية:
* الإعلامي حسن الطرفي من فريق أبعاد الإعلامي، تاريخ المراسلة: الخميس ٢٨/ ١١/ ٢٠٢٤.
* صانع المحتوى مُصطَفى ناجي الجار الله، تاريخ المراسلة: الخميس ٢٨/ ١١/ ٢٠٢٤.

المحتويات

٥	كلمة الجمعية	
٩	**الرؤى اللسانيَّةُ في قضيَّةِ خلق القرآن**	**أ.د. حيدر سلمان جواد الأنباري**
١٠	ملخص البحث	
١١	المقدّمة	
١٢	توطئة تاريخية	
١٤	أولا: الأشاعرة	
٢٦	ثانيا: المعتزلة	
٢٩	ثالثا: الإمامية	
٣٨	الخاتمة	
٤٠	الهوامش	
٤٥	المصادر والمراجع	
٤٩	**العمق الديني وأثره في عالمية اللغة العرب العربية**	**أ.د. صادق حسين كنيج** **د.بلسم محمد صكبان**
٥٠	ملخص البحث	
٥٠	الدين والهوية	

٥١ أثر اللغة في تشكيل الهوية
٥٣ انتشار اللغة العربية
٥٣ انتشار اللغة العربية في ظل الاسلام
٥٦ استيعاب اللغة العربية لما هو جديد
٥٩ النتائج
٦٠ الهوامش
٦١ المصادر والمراجع
٦٣ **التّعريب بين التراث والمعاصرة** **أ.د. صلاح كاظم داوود**
٦٤ ملخص البحث
٦٤ توطئة
٦٥ المبحث الأول: التعريب عند القدامى
٦٦ أوّلا: المُعرَّب
٦٨ ثانيا: الدخيل
٦٩ ثالثًا: المُولَّد
٧٠ أسباب الاقتراض
٧٢ التبادل التجاريّ
٧٣ العامل السياسي والإداري

٧٣	العامل العسكري	
٧٤	العامل الدينيّ	
٧٤	العامل الثقافيّ	
٧٥	طرائق التعريب	
٧٩	المبحث الثاني: التعريب في العصر الحديث	
٨٥	الخاتمة	
٨٦	الهوامش	
٩٠	المصادر والمراجع	
٩٣	**الفَصاحَـةُ في لُغَـةِ الإعـلامِ نافِـذةٌ عَـلى التَّحْجيـمِ والتَّغييـبِ**	**م.م. أسعد عقيل المحنا**
٩٤	مُلَخَّصُ البَحثِ	
٩٥	مُقَدِّمَة	
٩٧	أَوَّلًا: قَمْعُ العَرَبِيَّةِ الفُصحى في فَضائِيّاتِ الأَخبارِ ذاتِ الشُّهْرَةِ والانْتِشار	
٩٧	عَـلامَ قامَـتْ سِياسَـتُهَا اللُغَوِيَّـةُ في نَـشَراتِ الأَخبـار	
٩٩	امْتِداداتُ هذا التَّهاوُنِ	

١٠٢ ثانيًا: العامِّيَّةُ في بَرامِجِ الأَطفالِ
١٠٣ ثالِثًا: اللُّغَةُ في الإِعلامِ الرَّقْمِيّ
١٠٧ الهوامش
١٠٨ المصادر والمراجع